

روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل

جبال الموت

٥٢



● رجل المستحيل ● جبال الموت ● ٥٢ ● المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة ●

المؤلف



د. نبيل فاروق

رجل
المستحيل
سلسلة
روايات
بوليسية
للشباب
زائفة
بالأحداث
المثيرة

٥٢

جبال الموت

- مأساة تلك الهجمات الشرسة، التي تواجه السفارة المصرية في (بيرو)؟
- ما تلك المنظمة، المعروفة باسم (ذئاب الجبال)؟
- لؤي .. أينجح (أدهم صبرى) في مهمته؟
- ذئاب الجبال أم يلقى حتفه في جبال الموت؟
- أفرا التفاصيل المثيرة؛ لؤي كيف يعمل (رجل المستحيل)؟



العدد القادم: ذئاب ودماء

www.dvd4arab.com

www.dvd4arab.com

المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر
١٠٠ شارع مصر - القاهرة - ١١٥١١٠٠

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نيل فاروق

١ — مهمة انتحارية ..

١ (أدهم صبرى) ؟ ..

تؤكد هذا السؤال عبر أروقة مبنى المخابرات العامة المصرية ، وانتقل عبر طوابقه ، وحجراته ، التى تحيط بها دائماً هالة من السريّة ، فى لحظة توحى بأهمية وضرورة العبور على (أدهم صبرى) فى سرعة ، حتى وصل إلى قاعة التدريبات ، حيث كان (أدهم) يتحرك عبر ممر واسع ، وحواشه كلها متيطة على نحو عجيب ، وهو يقبض على مقبض مسلّس من نوع الـ (كولت) ، ويدو هادئاً للغاية ..

وفجأة برز شكل فى حجم هيئة رجل متوسط الحجم ، يصوب مسدسه إلى (أدهم) ، الذى انحنى فى سرعة ، وأطلق رصاصة من مسدسه ، أصابت رأس الشكل الخشبي تماماً ، ثم مال جانباً ، وأطلق رصاصة أخرى ، حطمت يد شكل خشبي آخر ، ظهر فور سقوط الشكل الأول .. وتوالى ظهور تلك الهياكل الخشبية ، التى صنعت على هيئة

٥

تهنّد الرجل فى ارتياح ، وقال فى لحظة تشفّ عن أهمية الأمر :

— المدير يبحث عنك منذ ربع ساعة ، ويدو أن الأمر عاجل للغاية ، فهو يبدو شديد القلق .

عقد (صالح) حاجبيه فى اهتمام ، وغمغم :

— يبدو أنها مهمة جديدة لرجل المستحيل .

أشار مدير المخابرات إلى (أدهم) ، قائلاً فى اهتمام :

— اجلس أيها المقدم .

تطلّع (أدهم) إلى (منى) ، التى سبقته إلى حجرة مدير المخابرات ، واتسم فى وجهها ، وهزّ يجلس إلى جوارها فى هدوء ، فى حين قال مدير المخابرات :

— أعزنى سمعت جيداً يا (أدهم) ، لمهنتك هذه المرة ستختلف عن كل مهامك السابقة .

غمغم (أدهم) فى هدوء :

— إننى منصت يا سيدي .

صمت مدير المخابرات لحظة ، وهو يحقد حاجبيه ، ثم قال :

— منذ شهر تقريباً ، وصلت إلى سفارتنا فى (ليجا)

٧

الأعداء ، فى سرعة ، و (أدهم) يحنى يميناً ويسرة ، ويقفز إلى الأمام والخلف ، فى مهارة مذهلة ، ورصاصاته تطلق ، وتصيب أهدافها فى دقة ، حتى فرغ مسدسه ، وتوقّف بروز الهياكل الخشبية ، وهنا ابتسم (أدهم) ، وغمغم :

— اعتقد أن النتيجة جيّدة هذه المرة .

ابتسم رجل يميل إلى البدانة ، يقف منذ البداية خلف حاجز زجاجي بعيد ، وقال :

— نفس النتيجة فى كل مرة يا سيادة المقدم .. إنك تصيب أهدافك كلها فى دقة ومهارة ، حتى أننى بدأت أتساءل عن جدوى ممارستك لهذا النوع من التدريبات .

هزّ (أدهم) كتفيه ، وهو يقول فى بساطة :

— لا بدّ من التدرّب باستمرار يا عزيزى (صالح) ، وإلا فقد المرء مرونته ولياقته .

فتح (صالح) فمه لينطق بعبارة ما ، ولكن أحد رجال المخابرات الصم قاعة التدريب ، وهو ينفّ فى اهتمام :

— أين المقدم (أدهم صبرى) ؟

أجاب (أدهم) فى هدوء :

— هاندا .

٦

عاصمة (بيرو) ، رسالة من مجهول ، يطالب السلطات المصرية فيها ، بالاعتراف بمنظمة مناهضة لنظام الحكم هناك ، تطلق على نفسها اسم (ذئاب الجبال) ، ولألا تعرضت السفارة والعاملين بها لأبشع أنواع التكيل .

تهدد مدير المخابرات ، قبل أن يستطرد :
— وبالطبع لم يأخذ مغيرنا هناك هذه الرسالة مأخذ الجد ، بل إنه ألقى بها في سلة المهملات ، واتخذ من ذلك التهديد مادة للتندر ، مع موظفي السفارة ، ولكن ..

صمت مدير المخابرات لحظة ، عقد خلالها حاجبيه ، ومطأ شفيه ، على نحو يوحى بالغضب ، قبل أن يواصل قائلاً :

— بعد يومين فقط ، تعرض السفير وزوجته ، في أثناء عودتهما من حفل استقبال رسمي ، في سفارة (البرازيل) ، إلى محاولة اختطاف عنيفة ، تصدى لها رجال الأمن المصاحبين لهما ، مما أفشل المحاولة ، وأدى إلى مقتل أحد رجال الأمن ، وبعد ذلك بثلاثة أيام ، أطلق مجهول النار على الملحق الصحفي للسفارة ، وأصابه في فخذه ، ثم وصلت إلى السفارة رسالة ثانية ، يكرر مرسلها المطلب نفسه ، ويعدّد بمزيد من المخاولات .

٨

عاد المدير إلى صمته لحظة أخرى ، ثم أردف :
— وتواتت الأحداث الخطرة ، فأصيب الملحق الطبي في حادث سيارة معتمد ، وحطم أحدهم نافذة حجرة نوم السفير برصاصة عند الفجر ، وألقيت قبلة في حديقة السفارة ، مما وصل بأعصاب السفير وزوجته إلى حافة الانهيار ، وأرسل الرجل يسألنا المشورة .

غمغم (أدهم) في هدوء :

— وبم أجبتاه ؟

مطأ مدير المخابرات شفته ، وقال :

— لا يمكننا طبعاً أن نعرف بمنظمة مناهضة لنظام حكم ، نقيم معه علاقات وثيقة ، ونربطنا به صلات حسنة وقوية ، كما لا يمكننا إيقاف عمل سفارتنا هناك ، ولقد أبلغنا السلطات في (بيرو) رسمياً ، ولكن يبدو أن منظمة (ذئاب الجبال) هذه أقوى من أن نقاقلها السلطات هناك .

قالت (منى) لى اهتمام واضح :

— وما المطلوب منا بالضبط يا سيدي ؟

تردد مدير المخابرات لحظة ، وكأنه لم يكن ينتظر هذا السؤال ، لى تلك اللحظة بالذات ، ثم لم يلبث أن هز كتفيه ، وقال :

٩

— سأبج القلم (أدهم صبرى) ، ولو إلى الجحيم يا سيدي .

ثم تحسّب وجهها بحمرة الجبل ، حينما تنبّهت إلى ما تعنيه عبارتها ، في حين زفر مدير المخابرات في ارتياح ، وهو يقول :

— لقد كنت والثقا من ذلك .

ثم التقط من فوق مكتبه جوازى سفر ، لهما لون أحمر مخمّر ، وأردف :

— كنت والثقا ، حتى أننى استخرجت لكما جوازى سفر دبلوماسيين ، وحجرت لكما مقعدين على الطائرة الموجهة إلى (أمريكا الجنوبية) ، بعد خمس ساعات فقط .

تبادل (أدهم) و (منى) نظرات باسمة ، ثم قال (أدهم) لى هدوء :

— لن نخذلك يا سيدي ، سنواجه (ذئاب الجبال) ، وسنلقنهم درساً قاسياً في جبال (الأنديز) .

غمغمت (منى) :

— نعم .. فى جبال الموت .

١١

— سيكون عليكما أن تقرّرا المطلوب منكما يا (منى) فالمهمة هذه المرة أقرب إلى عملية تأهيبية ، فحين نريد أن نلقن منظمة (ذئاب الجبال) هذه درساً ، يجعلهم يعرفون قدرة مصر ، ويخشون تحدّيها مستقبلاً ، ولست أملك بذلك ، فلنكنا مطلق الحرية فى قبول المهمة أو رفضها ، فحين نعدّها مهمة انتحارية ، ننظرنا لخطورة الجبال ، التى تصخذها تلك المنظمة ملاذاً لها ، ولقد جرت العادة بأن تخضع المهام الانتحارية لبدء التطّوع و ..

قبل أن يتم مدير المخابرات حديثه ، قال (أدهم) لى هدوء ، وهو يتنسم :

— أنا أقبل المهمة يا سيدي ، فهى من النوع الذى يروق لى .

ثم تألّفت عيناه فى صرامة وحزم ، قبل أن يستطرد :

— فانا أحب أن ألقن كل من يتحدّى مصر درساً لا ينساه أبداً .

ابتسم مدير المخابرات لى ارتياح وإعجاب ، والتفت إلى (منى) ، يسألها لى اهتمام :

— وأنت يا (منى) ؟

أجابته (منى) لى لهجة جاذبة حماسية :

١٠

٢- أول الغيث ..

بدأ السفير المصري في (يرو) شاحيًا ، قلقًا ، وهو يستقبل (أدهم) و (منى) في مكبه ، ويدعوها للجلوس ، ويتأمل في وجهيهما في اهتمام ، قبل أن يقول في صوت واهن :
— أعطف أن مهمتكما لن تكون بسيرة هنا ؟ على الرغم من تلك الرسالة الشفوية ، التي وصلتنا ، والتي تؤكد أنكما أكفأ رجال اخبارات المصرية ، فيبدو أن أوغاد الجبال هؤلاء أخطر مما كنت أتصور ، فالسلطات هنا تتخذهما ، وتتخذ أساليب الحذر الشديد في التعامل معهم ، والسكان هنا يرتقبون بفرور ذكر اسمهم ، ويرفضون الإدلاء بأية أقوال ، حتى ولو ارتكب ذئاب الجبال أشنع جرائمهم وسط أكبر ميادين (يما) .
سأله (أدهم) في هدوء :

— وما سر خطورتهم يا سيدي ؟

هز السفير رأسه نفيًا ، وقلب كفيه في خيثة ، وهو يقول :
— لست أدري ، ولما لأنهم يبيدون الاختفاء في الجبال ،

ويقودهم وجل يدعى (سانشو) ، يشير اسمه الرعب في القلوب

غمغم (أدهم) ، وكأنه يحاول استيعاب الاسم :
— (سانشو) .

ثم انبسم ، وهو يقول في هدوء وثقة :

— اطمئن يا سيدي .. لن يمض وقت طويل ، قبل أن يجثو (سانشو) هذا على ركبتيه أمامك ، طابًا الصبح .

خدجه السفير بنظرة دهشة متشككة ، ولكن (منى) انصمت ، وقالت في هدوء :

— إنك لم تر بعد ، كيف يعمل رجل المسحيل يا سيدي السفير .

استرخى السفير في مقعده ، وقال في غجة مرتابة ، ترتجف حروفها :

— نعم .. ولكنني رأيت كيف يعمل ذئاب الجبال .

أشارت عقارب الساعة إلى الثانية والنصف صباحًا ، حينما تناءت (منى) في إرهاق ، وقالت لـ (أدهم) ، الذي انهمك في فحص خريطة كبيرة :

— ماذا يحدث ؟

أجابها في صوت هادئ خالط :

— يبدو أن بعض أوغاد الجبال هؤلاء ، قد تسلل إلى هنا .

خفق قلبها في عنف ، وهي تغمغم :

— إلى هنا ؟

أوما برأسه إيجابيًا ، وغمغم :

— نعم .. لقد غلغلوا من حارسى السفارة ، وهامهم

أولاء يتسللون عبر الحديقة .

ثم ازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يتابع في صوت من يحدث

نفسه :

— اثنان ، وواحد و ... حسنًا .. إنهم خمسة أشخاص

فقط .

وانتزع سترته ، وألقاها بإهمال فوق ملعد قريب ،

ونأقلت عيناه في جدل ، وهو يغمغم في سرورية :

— يبدو أننا لن ننتظر طويلًا ، قبل أن نبدأ مراعاة الأول

مع أوغاد الجبال هؤلاء يا عزيزي .

وفي هدوء فتح النافذة ، وتسلل عارجهما في خفة الفهد ..

— هل تحاول حفظ دروب الجبال كلها ؟

هز (أدهم) رأسه نفيًا في ببطء ، وغمغم دون أن يرفع عينه عن الخريطة :

— لا ، ولكنني أحاول استنتاج أفضل مكان ، يصلح لأعضاء (سانشو) ورجاله .

عادت تشاءب ، وترعى أطرافها فوق مقعدها في تعب ، وهي تغمغم :

— ليس الأمر بمثل هذه السهولة ، ولأنا أطبقت عليهم

السلطات منذ زمن و ..

التفت (أدهم) فجأة نحو النافذة ، وأشار إلى (منى) على نحو حاد ، جعلها يتلعق باقي عبارتها في حلقها ، وتطلع إليه في دهشة ، قبل أن تهمس :

— ماذا هناك ؟

أشار إليها مرة أخرى ، يطلب منها التزام الصمت التام ، ثم أسرع يطفى نور الحجرة ، وتسلل على أطراف أصابعه إلى

النافذة ، وعقد حاجبيه ، وهو يتطلع إلى حديقة مبنى السفارة في اهتمام بالغ ، فأسرعت (منى) إلى جواره ، وغمست في

صوت يملأ بالولول :

تحرك ذئاب الجبال الخمسة في خفة ، داخل حديقة السفارة ، وأشار أحدهم إلى الأروعة الأربعين ، يأمرهم بالانتشار حول المبنى ، ثم حل مدفعه الرشاش في صرامة ، وتحرك في خفة القط نحو الجدار الخلفى للمبنى ، و... تسلفه في مهارة ..

وفي نفس اللحظة انطلق رجلان إلى الجانب الأيمن للسفارة ، وهما يتلقنان حولهما في حذر ، وقوة المدفع الرشاش في يد كل منهما تأهب للانطلاق ، وما أن وصلا إلى شجرة ضخمة ، بالقرب من جدار السفارة ، حتى همس أحدهما في سخرية :

— يبدو أننا منطلقين هؤلاء المصريين درسا ، لن يسوء أبدا ، هذه الليلة .

ولكنه لم يكذب عباره ، حتى سمع كلاهما صوتا أشد سخرية ، يقول :

— أشك أيها الوغد .

تلقت الرجلان حولهما في دعر ، ولكن الحديقة بدت خالية تماما ، فأسرعا يشهران سلاحهما خلف الشجرة ، ثم انتابهما الدهشة ، وطمع أحدهما ، وهو يحك رأسه في خيرة :

— إننا لم نكن لحلم .. أليس كذلك ؟

أنابها الصوت الساخر مرة أخرى ، يقول :

— كلاً .. إنها حقيقة !!

وفجأة انقضت عليهما صاعقة من فوق الشجرة ..

صاعقة تدعى (أدهم صبرى) ..

كانت المفاجأة مذهلة حقاً ، ولكنها لم تستغرق أكثر من ثانية واحدة ، فلقد طار المدفع الرشاش من يد الرجل الأول ، إلى ركلة قوية من قدم (أدهم) اليمنى ، وتحطم فك الرجل الثاني بلكمة ساحقة من قبضة (أدهم) اليسرى ، وقبل أن ينطق زميله بكلمة واحدة ، أو حتى يصرخ مستنجداً ، غاصت قبضة (أدهم) في معدته ، ثم ارتفعت تكلم صرخته الثألية ، وتجره على اجلاع ثلاث من أسنانه ، بلكمة كالقنبلة ..

وفي خفة الخمر ، ترك (أدهم) ضحيته ، وانطلق إلى الجانب الأيسر من المبنى ، حيث كان أحد الرجلين الآخرين يحاول معالجة قفل باب جانبي ، في حين وقف الآخر يرقب الطريق ، ويلدور بقوة مدفعه الرشاش بمنة ويسرة ، وملاحمه كلها تشق عن الترقب والشراسة ..

وفجأة برز (أدهم) إلى يسار الرجل ، واندفع نحوه كالصاروخ ، حتى أن الرجل لم يجد الوقت الكافي لإدارة قرعته مدفعه الرشاش نحوه ، قبل أن يتحول أنفه إلى كومة من اللحم المفري ، وتحفظ عيناه في ألم وذهول ، أما الرجل الثاني ، فقد ارتطمت قبضة (أدهم) الفولاذية بمؤخرة عنقه ، ولطمت جبهته في القفل الذي يحاول تعالجه ، فشجبت رأسه ، وألقت به فاقد الوعي ..

وهنا أسرع (أدهم) إلى الجدار الذي تسلفه الرجل الخامس ، ولحق بالنافذة التي تسلل منها إلى الداخل في سرعة ورشاقة ، ولم يكذب يقفز داخل السفارة ، حتى وأى الرجل رافنا ذراعية في حنق وامتنع ، و (منى) تصوب إليه مسدسها ، وهي تقول :

— لا تسرع هكذا يا (أدهم) .. لقد انتهى كل شيء .

وقف الرجل الخامس يتطلع إلى (أدهم) و (منى) بعينين لقدحان شرراً ، في حين ربت (أدهم) على كصف (منى) ، وقال في مرح :

— مرحى يا عزيزتى ، لقد أنهيت العملية في مهارة هذه المرة .



وفجأة انقضت عليهما صاعقة من فوق الشجرة ..

صاعقة تدعى (أدهم صبرى) ..

ابتسمت في سعادة لعبارة ، وقالت وهي تشير إلى الرجل :

— ليلك رأيت وجه ذلك الوغد ، حينما قفز إلى هنا ، ووجد مسدسى منصوباً إلى رأسه .

كانت تتحدث بالعربية ، إلا أن الرجل جثث في حلق ، بلفته الأسبانية .

— لن يغفر لكما (سانشو) ذلك .

استدار إليه (أدهم) بعينين ساخرتين ، وقال بالأسبانية :
— ما دعت قد ذكرت اسم هذا الوغد ، فسيسعدني أن أرسل إليه رسالة عن طريقك .

ثم جذب إليه الرجل في قوة ، وقال وهو يحدق في عينيه على نحو شحبه له وجه الرجل ، وهوى قلبه بين ضلوعه :

— قل له أن يعتمد عن مصر والسفارة المصرية ، وإلا أجبرته على الزحف عبر دروب (الإنديز) ، حال القدمين .

وبرقت عيناه في سخرية ، وهو يردف :

— لقد انتهت سطوة ذئاب الجبل .

٣ — تحدى الشيطان ..

أخمل (سانشو) سيجازاً فاغراً ، من ذلك النوع الذي تصنعه (كوبا) ، وتصدره إلى العالم أجمع ، ونثف ثيخانه في برود ، وهو يستند بقامته الضخمة إلى حاجز صخري لبشر عميق ، ويرتدى ثياباً عسكرياً ، يشبه ذلك الذي يرتديه جنود الصاعقة في مصر ، وإن بدا عجيباً برأسه الأصلع ، ولحيته الكثة ، وهو يستمع إلى الرجل ، الذي ينقل إليه رسالة (أدهم) من صوت مرتجف ، ثم ابتسم في سخرية ، وقال :
— من يظن نفسه هذا المفرور ؟.. إنه لن يصمد أمام (سانشو) .

غمغم رجل غليل ، يقف إلى جوار (سانشو) ، مرتدياً حلة كاملة ، ورباط عني :

— لا تغمط المصريين حقهم يا (سانشو) ، فلقد تلقينا درساً قاسياً ، حينما فعلنا ذلك في أكوير ، عام ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين .

ابتسم (سانشو) في سخرية ، وقال :

— يبدو أنكم عاجزون عن نسيان ذلك يا عزيزي (جولدمان) .

عقد (جولدمان) حاجبيه ، وغمغم في سخط :

— لا تحاول السخرية منا يا (سانشو) ، فنحن ننفق عليك ، وعلى منظمتك في سخاء و ..

قاطعه (سانشو) في جدة :

— كفى يا سنيور (جولدمان) .

ثم عاد يتسم ابتسامة عصبية ، وهو يسأل الرجل ، الذي نقل إليه رسالة (أدهم) :

— وماذا يدعى ذلك المفرور ؟

غمغم الرجل في صوت مرتجف :

— لقد سمعت زميله تناديه باسم (أدهم) .

شحبه وجه (جولدمان) فجأة ، وارتجفت أطرافه ، وهو يقبض على ذراع الرجل في قوة ، ويسأله في صوت شديد الانفعال :

— هل أنت والقي ١٢ .. هل خاطبتك باسم (أدهم) ؟

هتف الرجل في ذعر :

— نعم يا سنيور .. أقسم لك .

تراحت أصابع (جولدمان) حول ذراع الرجل ، وتراجع في شحوب ، وهو يغمغم :
— يا للشيطان !!

عقد (سانشو) حاجبيه ، وهو يسأله في اهتمام :

— من هو (أدهم) هذا يا سنيور (جولدمان) ؟

انفض (جولدمان) ، وكأنا أيقظته عبارة (سانشو) من غيرة عميقة ، وحدق في وجه هذا الأخير لحظة ، ثم لوح بلراعيه في جدة ، هائلاً :

— يمكنك اعتبار عملية السفارة المصرية ملفاة يا (سانشو) .. إنها لن تصبح أبداً ، ماداموا قد أوملوا ذلك الشيطان .

ظهر الغضب على وجه (سانشو) ، وهتف في حلق :
— إن شياطين الجحيم كلهم لن توقف (سانشو) ، مادام قد قرّر الفوز في مهمة ما .

صاح (جولدمان) في انفعال :

— (أدهم صري) هذا يتفوق شياطين الجحيم كلهم يا (سانشو) ، ولو أنك تحدّيته فستخسر كل شيء .

حرب (سانشو) الأرض بقدمة في غضب ، وهو يحف :
— دعه يحاول من شعرة واحدة من ذقي ، وسأطعم
بقاياها ذئب (الإنديز) .

زفر (جولدمان) في حق ، وعاد يلوح بذراعيه ، وهو
يقول في يأس :

— أنت لا تدري ما يمكن أن يفعله (أدهم صبرى)
يا (سانشو) .

ابسم (سانشو) في شراسة ، وقال :
— بل أنت الذي يجهل قوة ذئب الجبال يا سنيور
(جولدمان) .

وتألفت عبادة في جدل ، وهو يردف :
— مادام (أدهم صبرى) هذا يريد إجباري على الزحف
وسط الجبال ، فسأتى به إلى هنا ، وسأجبره على إحضار
سيجاري هذا .
قال عبارته ، وألقى سيجاره في أعماق البئر ، التي بدت
وكأنها لا تقرأ لها ..

ازداد شحوب وجه السفير ، وهو يتطلع إلى (أدهم)
و (منى) ، ويقول في خفوت :

٢٤

— إذن فقد حطمت أربعة من ذئاب الجبال ، وأرسلت
مع الخامس تتحدى (سانشو) نفسه .
ابسمت (منى) ، وهي تقول :

— لقد كان ذلك ممثلاً .
هف السفير في خفق :

— بل كان بالغ الخطورة ، إنك تتحدى منظمة كاملة ،
يمكن لرجالها قتلك في وضوح النهار ، وسط أكبر ميادين المدينة ،
دون أن يجرؤ رجل واحد على منعهم ، أو حمايتك .

ابسم (أدهم) في هدوء ، وقال :
— اطمئن يا سيدي ، الأمر ليس بالخطورة التي
تصورها .

صاح السفير في خفق :
— ومتى يصبح الأمر بالخطورة التي تتصورها أيها
المقدم ؟ .. عندما يقتل هؤلاء الأوغاد آخر رجل في السفارة ،
ويحولونها إلى أنقاض تدفن جثتنا جميعاً .
ظلت ابسمامة (أدهم) تتألق فوق شفاهه في هدوء ، وهو
يقول :

— بالعكس يا سيدي .. لقد أنقذت السفارة كلها
بجوقتي هذا .

٢٥

٤ — القتلة ..

احتضمت (منى) النظر إلى (أدهم) ، وهو يقود سيارته
في هدوء ، عبر شوارع (ليما) ، وتظاهرت بالهدوء ، وهي
تسأله :

— ألا تعتقد أننا غاطر غاطرة كبيرة ، حينما نجوب شوارع
(ليما) هكذا ، وبلا تنكر ، وأنت تعلم أن هناك من يطالبون
برأسك ؟

ابسم وهو يقول في سخرية :
— رأسى يحتاج إلى من هم أقوى من ذئاب الجبال ، لا تنزاعه
من جسدي يا عزيزي .

عقدت حاجبها في ضيق ، وهي تقول :
— أخبرني على الأقل ماذا تنوي أن تفعل ، إذا ما هاجمونا .
ولم تلبث منه جواباً ، هتفت في خفق :
— (أدهم) .. هل تسمعي ؟
جفت الدماء في عروقها ، حينما أجابها في هدوء :

٢٧

عقد السفير حاجبيه ، وهو يسأله في دهشة :
— ماذا تعني ؟

أجابه (أدهم) في لامبالاة :
— لقد حوّلت تتحدى ذئاب الجبال إلى وحدي ،
وسيجعلهم هذا ينسون السفارة ورجالها .
هف السفير في توغر :

— يا إلهي .. إنك تلعب بالنار أيها المقدم .
ارتسمت ابسمامة واقفة على شفاه (أدهم) ، وهو
يقول :

— اطمئن يا سيدي ، هذه النار لن تحرق إلا ذئاب الجبال
وحدهم ، أعدك بذلك .



٢٦

وأنا على عقب ، وأصبحت سيارة (أدهم) هي التي تطارد
سيارة ذئاب الجبال ..
هبط قائد سيارة الذئاب في حقل ، وهو يضغط أسنانه في
غضب :

— اللعنة !! هذا الشيطان يحاول عكس الأمور !!
وفجأة مال (أدهم) بسيارته جانباً ، وضرب الجانب
الخلفي الأيمن ، من سيارة الذئاب ، بعقدمة سيارته ، فصاح
الرجل المسك بالدفع الرشاش في حقل :
— يا للشيطان !!.. سأقتله ، ولو كان هذا آخر ما فعله
في حياته .

ثم أخرج مدفعه الرشاش من النافذة ، وصوبه إلى سيارة
(أدهم) من الخلف ، ولكن (أدهم) النقط مسدده من
جيب ستروته في سرعة ، وأطلق رصاصة صائبة ، مستخدماً
يده اليسرى ، دون أن تفلت عجلة القيادة من يده ، فعظم
ماسورة المدفع الرشاش ، وأجبر الرجل على تركه ، وصرخ
قائد سيارة الذئاب ، وهو يحاول الإفلات من سيارة
(أدهم) :

— يا للشيطان !!.. يبدو أن هذا الرجل أسطر مما أخبرنا
به منير (جولدمان) .

— نعم يا (منى) ، ولكنني أركز انتباهي على السيارة
التي تتبعنا ، منذ غادرنا السفارة ، فالرجل الذي يجلس إلى
جوار سائقها بعد مدفعه الرشاش في اهتمام .
ولم يكذب عيارته ، حتى زادت السيارة ، التي تتبعهما ،
من سرعتها فجأة وشهر الرجل الجالس إلى جوار سائقها مدفعه
الرشاش من نافذتها ، وصوبه نحو (أدهم) ، وهو يقول في
حقل .
— أبلغ شياطين الجنيم عن مهارة ذئاب الجبال أيها
الشيطان المصري .
وما أن تجاوزت السيارتان ، حتى أطلق رصاصات مدفعه
الرشاش ..

انطلقت صرخة عفوية من بين شفتي (منى) ، مع صوت
رصاصات المدفع الرشاش ، ولكن (أدهم) سبق صرختها
بضغطة مدروسة على (فرملة) سيارته ، جعلت سرعتها تنخفض
فجأة ، بحيث تجاوزتها سيارة ذئاب الجبال ، وطاشت
رصاصات المدفع الرشاش ، قبل أن يتدارك قائدها موقفه ،
ويضغط (فرملة) سيارته بدورته ، ولكن الوضع كان قد انقلب

مذهلة ، وهبط على قدميه وسط ذئاب الجبال الأربعة ، الذين
تجمعت الدماء في عروقهم فزعاً وذهولاً ، ثم لم تلبث أن
تدفقت الدماء من أنف أحدهم ، الذي هشمته قبضة (أدهم) ،
واختلطت بأسنان الثانی ، التي تحطمت إثر لكمة ثانية ،
وشق الرجل الثالث في قوة ، وقد خيل إليه أن الصاعقة قد
اختارت معدته بالذات لسقوطها ، وطار مسدس الرابع ،
وتراجع ل رعب هائل ، وهو يحدق في وجه زميله الثالث ،
الذي هوى قائد الوعي ، والدماء تلوث وجهه الشاحب ..
ومسقط قلب الذئب الرابع بين قدميه ، وتحول فجأة إلى
ضبع يرتجف فزعاً ، حينما ففز (أدهم) نحوه ، وجذبه من
قميصه في قوة ، ورفع الرجل ذراعيه ليحمي وجهه ، وهو
يصرخ بمزيج من الدعر والضراعة :

— الرحمة !! الرحمة !!

كان يوقع أن هوى قبضة (أدهم) الفولاذية على لكمة ،
وتحوّله إلى كومة من اللحم المفري ، ولكن رجفة قوية سرت
في جسده كله ، من قمة رأسه حتى أخمص قدميه ، حينما سمع
صوت (أدهم) القوي ، الذي يعمل مزيجاً عجيباً من
الحزم ، والصرامة ، والجدّة والسخرية ، وهو يقول :

ولم يكذب عيارته ، حتى انفجر إطار سيارته الخلفي ، إثر
رصاصة محكمة من مسدس (أدهم) ، وبذل قائدها مجهوداً
متضاعفاً ، لينجح في السيطرة عليها ، والوقوف بها على جانب
الطريق ، وصاح في غضب :

— إنه يتحدانا .. سنواجهه جميعاً يا ذئاب .

وقفز ذئاب الجبال الأربعة خارج سيارتهم ، وانتزع كل
منهم مسدسه في تحفّز وشراسة ، في نفس اللحظة ، التي
توقفت فيها سيارة (أدهم) إلى جوارهم تماماً ..

ومسقط صاعقة على ذلك الشارع الرئيسي ، في قلب
العاصمة (بيا) ..

وتسمر المارة في ذهول ، وهم يحدقون فيما حدث ..
وتجمعت أطراف رجل شرطي ، قدّر لها أن يكونوا
شاهدين ، على أعجب ظاهرة وقعت عليها عيونهما ..

كان اسم الصاعقة (أدهم صبرى) ..

واسم ضحاياها (ذئاب الجبال) ..

لقد ففز (أدهم) خارج سيارته فور توقّفها ، وبدت
قفزته التالية كالصخرة ، حينما عبر مقدمة سيارته في رشاقة

— أبلغ ذلك القار (سانشو) ، أن التخلّص من المصريين لا يتم بكل هذه الوسائل الحمقاء ، وأنه إذا ما حاول ذلك مرة أخرى ، فسأعقّبه من أذنيه على قمة جبال (الإنديز) .
ثم ترك (أدهم) الرجل ، وقفز إلى سيارته ، وقبل أن يتحرّك الشرطيّان ، اللذان تعلّقا على ذؤولهما بصعوبة ، كان قد انطلق بعيداً كالإعصار ..

ارتجفت شفتا (سانشو) ، وهو يستمع إلى تلك الرسالة الغامضة ، والتي بقايا سيجاره في خنق ، وهو يدمغم غاضباً :
— اللعبة !!

هتف (جولدمان) بوجه ضاحك .

— ألم أحذرك ؟

صاح به (سانشو) في غضب :

— صد أيها المني .. إنك لم تحاول معاونتنا قط .

ثم مال نحوه بنية ، واستطرد في جلبة :

— أريد معرفة كل ما يتعلق بهذا الشيطان المصري

يا (جولدمان) .. كل شيء : قدراته ، طبعاته ، أخلاقياته ، حتى نوع السجائر التي يفضّلها .

٣٢

غمغم (جولدمان) في صوت مرتجف :
— إنه .. إنه لا يدخن .
هتف (سانشو) في جلبة :
— حسناً .. إنها بداية جيّدة .. ولكن مازال أمامنا الكثير .
ثم أردف في وحشية :
— إنني لن أسمع لهذا الشيطان بهزيمة ذئاب الجبال مرة ثانية أبداً .. أبداً .



٣٣

(٣٢) — رجل المستحل — جبال الموت — ٥٢

بتر عبارته فجأة ، حينما الخنى أمامهما أحد عمال الملهى ، وقال في احترام :

— هناك مكالمة عاجلة للسنير (أدهم صبرى) .

عقد (أدهم) حاجبيه لحظة ، ثم غمغم في هدوء :

— حسناً ، سأخلق بك إلى هناك .

وبعض من مقعده في هدوء ، فأمسكت (منى) معصمه ، وهي تقول في توتر :

— هل نذهب معاً ؟ .. من الواضح أنه فيع ما ، فلا أحد يعلم بقدمنا إلى هنا .

ابتسم (أدهم) في هدوء ، وقال :

— أعلم أنه فيع يا عزيزي ، لذا فأسأذهب وحدي ، حتى يكتفك حماية ظهري .

واتسعت ابتسامته ، وهو يقول في سخرية :

— ثم إنني سأطعن قلبك أكثر ، حينما أتركك وسط هذا الملهى المزدحم .

وقبل أن يترك لها فرصة للاعتراض ، جذب معصمه من يدها ، وتحرك نحو حجرة الهاتف في خطوات سريعة ، فسلطت هي حاجبها ، وغمغمت في مزيج من الضيق والقلق :

٣٥

٥ — خطة الذئاب ..

نقرت (منى) بأصابعها في توتر ، فوق مائدة الملهى الأنيق ، الذي بلغت شهرته أفاق (بيرو) كلها ، وهي تتقل بصبرها في قلق واضح بين برنامج الملهى الراقص ، ووجه (أدهم) ، الذي يبدو هادئاً مرخاً ، ولا توحي ملامحه إطلاقاً بأنه رجل ينتظر الموت في كل لحظة ، وبينما كان يصفق إعجاباً بإحدى فقرات البرنامج ، هتفت به في خنق :

— هل يدخل ذلك اللهو ضمن خطة العمل ؟

انفت إليها في هدوء ، وهو يقول مبتسماً :

— بالطبع يا عزيزي .. إنني أحاول إثارة أعصاب هؤلاء

الأوغاد .

غمغمت في جلبة :

— ألم ترفع أن يتبي ذلك برصاصة في رأسك ؟

هز كتفيه في استنثار ، وهو يقول :

— نعم ، ولكنها الوسيلة الوحيدة لـ ..

٣٤

— يا لك من مستهتر يا (أدهم صرى) .

وفجأة انصرفت فوهة مسدس بحلقها ، وصمحت صوتها قاسياً خشناً ، يقول في صرامة :

— لا تحاولي الاستجداد به يا فتاتي ، وإلا صنعت رصاصتي ممراً في عنقك الجميل .

تملقت عيناهما بظهر (أدهم) في رعب ، وهو يبعد ، ويغضي وسط الملهي المزدحم ، وحاولت أن تفتح شفطها ، وتصرخ محذرة لئلا ، عل الرغم من تهديد الرجل الذي يصوب مسدسه إلى عنقها ، ولكنها فوجئت بتبديل ضخيم يكتم أنفاسها ، وصمحت صوت الرجل يقول في خشونة :

— لقد حذرتك .

القط (أدهم) سماعاً الهاتف ، وقال في هدوء ، يعمل رنة السخريه :

— هنا (أدهم صرى) .. من المتحدث ؟

— آناه صوت غليظ ، يقول في برود :

— (سانشو) يا منيور (أدهم) .

اجسم (أدهم) في سخريه ، وقال :

٣٦

— إذن فهو أنت يا وغد الجبال .

أجابه (سانشو) في هدوء :

— لم تكن توقع هذا .. أليس كذلك ؟

غمغم (أدهم) في سخريه :

— هذا صحيح .. لقد توقعت رصاصة غادرة ، أو هاتفاً متفجراً ، ولكنني لم أتوقع أبداً أن تكون هناك قران خارج جحورها ، في مثل هذه الساعة المتأخرة .

وازدادت السخريه في لبراته ، وهو يردف :

— وماذا تريد مني بالضبط يا جرد الجبال ؟

أجابه (سانشو) في سخريه بمائلة :

— لقد وصلني تحذيرك ، واعتقد أنك ستقدم على ما توقعته به .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، وقال :

— إنني لا أندم أبداً أيها الثأله .

اكتسب صوت (سانشو) رنة صارمة غاضبة ، وهو يقول :

— بل ستندم أيها الشيطان المصري ، فالوقت الذي تقضيه

في الحديث معك كان يكفى رجائي ، لاخطاف زميلتك العزيزة .

٣٧

انقلب حاجبا (أدهم) في شدة ، واستدار في جملته إلى حيث تجلس (منى) ، ولكن عينيه ارتطمتا بمشهد آخر ، قرب باب الملهي ، فقد تميز بوضوح ثوب (منى) الوردى ، وشعرها الأسود ، وسط ثلاثة من الرجال ، يدفعونها إلى الخارج في عنف ، وسمع في الوقت ذاته صوت (سانشو) غير أسلاك الهاتف ، يقول في هتافه :

— لقد خسرت معركتك هذه المرة أيها الشيطان .

قبل أن يتم (سانشو) عبارته الشامية ، كان (أدهم) قد نوك سماعاً الهاتف ، وانطلق كالصاروخ خارج الكابينة الزجاجية ، في حين اختفت (منى) وعثقفوها الثلاثة خارج الملهي ، ولم يكبد (أدهم) يحاول اللحاق بهم ، حتى اعترض طريقه رجلان ، شهراً مسدسيهما في وجهه ، وقال أحدهما في صرامة :

— إلى أين أيها المصري ؟

ولكن (أدهم) لم يكن مستعداً للنقاش ، أو إضاعة الوقت ، لذا فقد هوى على فك أولهما بكلمة ساحقة ، أقت به ثلاثة أمتار إلى الورداء ، وحطم أنف وفك الثاني بقنبلة ،

٣٨

أزاحت الرجل من طريقه ، وعبر باب الملهي بقفزة رائعة ، في نفس اللحظة التي أدار فيها اعثقفون سياراتهم ، وانطلقوا بها .. وأقسم بواب الملهي ، وهو يقصص الأمر على أبنائه في تلك الليلة ، أنه شاهد بعينه حترقاً من المعجزات ، حينما تحول (أدهم) فجأة إلى آلة للقتل ، واندفع خلف السيارة المشتعلة ، وبدأ وكأنه يسبح في الهواء ، قبل أن ينفرق زجاج السيارة الخلفي ، ويسقط بين الذئاب داخلها ..

وتلقى قائد السيارة لكمة عجيبة في مؤخرة رأسه ، جعلته يسقط فاقد الوعي فوق عجلة القيادة ، وجعلت السيارة تنحرف ، لتعطم بجدار الملهي ، ويوقف وقد تهشمت مقلمتها ، في حين أطارت قبضة (أدهم) مسدس الرجل ، الذي يجلس إلى جوار السائق ، وأخترته القبضة الأخرى بكلمة ساحقة ، ثم استدار (أدهم) ليحطم فك الذئب الثالث ، ولكن قبضته تسمرت في طريقها ، وتجمدت عيناه على وجه الفتاة التي تجلس إلى جوار الرجل ، وعلى إصامتها الساخرة ، ووجد نفسه يتف في مزيج من الدهشة والغضب .

— ولكن .. ولكنك لست (منى) .

وهنا الصق الرجل الثالث فوهة مسدسه بصدغ (أدهم) ، وهو يتف في ظفر :

٣٩

— هذا ضحيح : لقد خدعك (سانشو) هذه المرة .

قاتل هم من شاعروا (أدهم صبرى) في ثورة غضبه ،
فهو يصول — حنث — إلى إعصار ..

لقد تصافر غضبه ، وحته ، ودهشه ، ليحول إلى طربة
قوة سريعة ، أطارت المسدس من يد الذئب الثالث ، ودلست
بالرجل خارج السيارة ، ثم دارت قبضة (أدهم) في الهواء ،
وتحوّلت إلى صفة رنانة ، قوية ، هوت على وجه الفتاة
الرائقة ، وهو يقول في غضب :
— أيها الأوغاد .

ثم قفز خارج السيارة ، وانزع الذئب الثالث من سفطه
بدراوع فولاذية ، وهتف به في صرامة :

— لم فعلك ذلك ؟

هتف الرجل في دعر ، وهو يحمي وجهه بكفه :

— إيها أوامر (سانشو) .. لقد امتد وجهك إلى محاولة
إنقاذ ضحية وهمية ، حتى يمكن لرجالنا اختطاف زميلك .
تضاعف غضب (أدهم) ، مع شعوره بالهبح الذي قاده
إليه (سانشو) ، في حين غمغم الرجل في دعر :

٤١



وبدا وكأنه يسبح في الهواء ، قبل أن يترق زجاج السيارة الخلفي ،
ويستقر بين اللطاب داخلها ..

٦ — الطريق إلى الجحيم ..

تطلعت (منى) في دعر إلى وجه (سانشو) ، الذي
يتألمها في مزيج من الظفر والشماعة والبرود ، وغمغمت وهي
تحاول السيطرة على تولرها :

— ماذا تهد يا (سانشو) ؟

ابهم (سانشو) في هدوء ، وقال :

— لقد حققت ما أريد يا فتاتي ..

ثم مال نحوها ، وهو يستطرد في غرور :

— لقد درست طبيعة زميلك المغرور جيدا ، قبل أن أضغ
خطئي هذه .. إنه رجل واثق من قدراته ، حبه الطبيعة بجموعة
من المواهب ، جعله أخطر رجل مخبرات في العالم ، ومعرفة
بذلك تجعله مستهترا ، لا يسأل بالخطر ، بل بمجد لسهة في
مواجهتها ، ولكنه في الوقت نفسه حاد الانفعالات ، صارم ،
شجاع إلى حد التهور ، و
وحصكت في سخرية ، وهو يقول :
— وشهم .

٤٢

— لا بد أنها الآن في طريقها إلى الجبال .

لوى (أدهم) ذراع الرجل خلف ظهره في حركة مفاجئة ،
ودفعه أمامه إلى الملهي ، الذي تراجع رواده في دعر ، وانقعد
حاجبا (أدهم) في سطح ، حينما انقط بصرة المنطدة الخالية ،
وحشية (منى) الملقاة في إهمال واضح ، وشهم في غضب :
— إذن فقد نجحتم .

ثم أدار وجه الرجل إليه في قوة ، وهو يقول :

— وماذا يريد مني (سانشو) ، في مقابل استعادتها ؟

أجابته الرجل في صوت مرتجف :

— يريدك أنت .. حياتك مقابل حياتها .

صمت (أدهم) لحظة ، ثم قال في صرامة مخيفة :

— حسنا .. هناك رسالة فائقة ، أحب أن أرسلها إليه .

غمغم الرجل :

— ما هي ؟

وهوت قبضة (أدهم) كالقنبلة على فك الرجل ، وهو

يقول في غضب :

— ما هي ذى .

٤٣

وضعنا بعض الأنعام للأفراد في مهابته ، وسيكون على رفيقك أن يتحول إلى باعوضة ، حتى يمكنه الوصول إلى هنا .

أجابته (منى) في حزم وثقة :

— سيأتى .. سيأتى من حيث لا تتوقعونه .

اتسم (سانشو) في سخرية ، وقال :

— سيكون عليه — عندئذ — أن يعبر (هوة الموت) ،

ويقاتل قطيعاً من الدئاب الحقيقية في (وادى الهلاك) ، قبل أن يصل إلى هنا .

وعاد يتضحك في سخرية ، وعينه تألقان في شراسة ، قبل

أن يردف :

— صدقتني يا فتى ، لقد خسر الشيطان المصرى معركة

الأخيرة .

زهر السفير المصرى في ضيق ، وهو يتقل بصره بين

(أدهم) ، الذى جلس مسترخياً في هدوء ، وبين مفتش

الشرطة (رود) ، قبل أن يقول في خفق :

— إننى أعتقد عمّا أبداه السنيور (أدهم) يا سيادة

المفتش ، ولكنه كان يحاول الدفاع عن زميله المختطفة ، التى

تعمل بدورها في سفارتنا .

٤٥

ثم عاد يتضحك في غمرة ، قبل أن يستطرد :

— كنت أعلم أنه سيجيب الهاتف ، حرصاً منه على إظهار

هجماعه ، ولا مبالاة بالخطر ، وكنت أعلم أيضاً أنه سيدفع

خلف تلك القصة ، التى جعلناها تردى ثباتاً مشابهة لثباتك ،

ومصنّف خمرها على البحر نفسه ، وسيقاتل من يظنهم

مختطفين في شراسة ، مما يمنح الباقين فرصة الخروج بك ،

واحضائك إلى هنا .

ضمنت (منى) في خفق :

— إنه لن يغير لك ذلك

اتسم (سانشو) في سخرية ، وقال :

— أعلم هذا أيضاً يا فتى ، وهو جزء من خطي .

وعاد يميل نحوها مستطرداً :

— إنه لن يستسلم ، ويسمى جاهداً للوصول إلى هنا ،

ومقاتلى في وكرى ، ولقد أعددت العدة لاستقباله .

وانطلقت ضحكته المنقطة مرة أخرى ، قبل أن يردف :

— الطريق الوحيد إلى ممكن ذئاب الجبال ، هو عبر غور

ضيق ، نطلق عليه اسم (الطريق إلى الجمجم) ، وسيستطرد

عشرة من رجالى ، بمدافعهم الرشاشة عند ذلك الممر ، كما

٤٤

قاطعه (أدهم) مرة أخرى في صرامة :

— أين يخطون أجا المفتش ؟

تردّد المفتش لحظة أخرى ، ثم قال :

— لا أحد يعلم يا سنيور (أدهم) .

ثم استطرد في صوت خافت متلعثم :

— بصورة رسمية ؟

التقى حاجبا (أدهم) في اهتمام ، وهو يقول :

— وبصورة غير رسمية !!

ساد الصمت لحظة ، ثم غمغم المفتش في خفوت :

— هل لديك خريطة لجبال (الإنديز) ؟

القط (أدهم) الخريطة من جيب سترته ، وفردّها فوق

مكتب السفير ، الذى بدا ساخطاً ، وقال :

— ها هي ذى .

اقرب المفتش من الخريطة ، وأشار إلى جزء منها ، وهو

يقول :

— يقولون إنهم يجتنبون هنا ، في تلك البقعة ، حيث

يستلزم الوصول إليهم اتخاذ أحد طريقين ، إنّما ذلك الممر

الضيق المعروف باسم (الطريق إلى الجمجم) ، حيث يبلغ

٤٧

مط المفتش (رود) شفيعه ، وهزّ كتفيه ، وهو يقول :

— بل أنا الذى يحتلها سيادة السفير المصرى ، فالتوالين

الدولية تحظر على شرطة (بيرو) الدخول إلى سفارتكم ،

حيث أنها تعتبر أرضاً تابعة لكم ، ولكن السنيور (أدهم) أثار

الفرع في أشهر ملاعبها ، مما اضطر إلى .

قاطعه (أدهم) فجأة .

— لماذا لم تبدل جهديك لتبع أوغداد الجبال ، الدين

اختطفوا زميلى ، بدلاً من تبصرك لى لى هنا أجا المفتش ؟

احضرن وجه المفتش ، وغمغم :

— إنهم يخطون في الجبال و . . .

عنه (أدهم) يقاطعه في جدّة :

— وماذا أجا المفتش ؟

ارتبك المفتش لحظة ، ثم ارتق برأسه ، وغمغم في ضيق :

— دعنى أصارحك يا سنيور (أدهم) .. إن ذئاب

الجبال هؤلاء أقوى مما تصوّر ، إن جيشنا نفسه لم ينجح في

الإيغاف بهم أبداً ، فحبال (الإنديز) منطقة غنية منشقة

الأطراف ، كثيرة الدروب ، والوصول إلى وكر ذئاب الجبال

عملية بالغة الخطورة و . . .

٤٦

طوله كيلومترًا كاملاً ، ويبلغ عرضه سبعة أمتار بحسب ، وترتفع الجبال على جانبيه ثلاثين متراً ، وإنما أن يجتر المرء هوة رهيبة ، يبلغ عمقها ما يقرب من أربعين متراً ، وتحيط بها صخور مُسَنَّة الأطراف ، تصرف باسم (هوة الموت) ، وحسب إذا ما نبح المرء في اجتيازها ، فيمكن أن يجر (وادى الهلاك) ، وهو منطقة منبسطة ، يبلغ طولها نصف الكيلومتر تقريباً ، ولكن هؤلاء الجرمين يطلقون فيها قطعاً من اللقالب الوحشية ، التي تتصور جوعاً ، ولا تتردد في الحراس كل من تسؤل له نفسه عبور وادىها .

ساد السميت لحظة أخرى ، وثلاثتهم يتأملون الخريطة ، ثم أردف المفتش :

— لقد علمت ما فعلته الليلة في الملهى يا سيور (أدهم) ، وأنا اعتقد أنك الرجل المناسب لمواجهة ذئاب الجبال ، ولن أحاول منعه ، فلأن أحل في أصناف كراهية رهيبة هؤلاء اللقالب ، بعد أن تسبوا في مصرع أبى يومًا ، ولكننى أخشى أن يضاد اسمك إلى قائمة ضحايا ذئاب الجبال . غمغم السفير في ضيق : — هذا ما أخشاه أنا أيضًا .

٤٨

٧ — الصاعقة ..

غادر المفتش (رود) مبنى السفارة المصرية في هدوء ، ودلف إلى سيارته ، وهو يغمغم في فجة أقرب إلى السخرية : — ها هو ذا اسم جديد يضاف إلى قائمة الحمقى .

سأله الشرطي الذى يقود السيارة ، وهو يدير محركها في برود :

— هل وجدت الرجل ؟

توَّح المفتش بكفه ، وقال وهو يشعل سيجارته :

— نعم .. وهو عند إلى درجة تفوق الوصف .

انطلق الرجل بالسيارة ، وهو يقول :

— هل سبواجه ذئاب الجبال في زكروهم كما تولعت ؟

أجاب المفتش ، وهو ينفث دخان سيجارته :

— نعم .. كل شيء كما توقَّعناه تمامًا .

سأله الرجل :

— وأى طريق سيُخذ ؟

٥٠

اعتدل (أدهم) في هدوء ، وقال :

— اطعن يا سيادة السفير ، لقد وعدتكم أن ألْقَن ذئاب الجبال هؤلاء درسًا .

تبادل السفير والمفتش نظرة متشككة ، ثم مدَّ المفتش يده بصافح (أدهم) ، وهو يقول :

— أثبتى لك خطأ موقفاً يا سيور (أدهم) .

ثم أسرع يستطرد :

— ولكن بصورة غير رسمية .

صافحه (أدهم) في هدوء ، وهو يقول :

— اعتقد أنى أحاج إلى ما هو أكثر من الخطب يا سيادة المفتش .

أوماً المفتش يرأسه إيجاباً ، ثم استدار لينصرف ، وهو يتخى السفير ، ولكنه لم يلبث أن توقف ، والفت إلى (أدهم) ، ليسأله في اهتمام :

— أى طريق ستُخذ يا سيور (أدهم) ؟

ابسم (أدهم) في هدوء ، وهو يقول :

— الطريق الأول أيما المفتش .

ثم أردف في صرامة :

— الطريق إلى الجحيم .

٤٩

انتمس المفتش في سخرية ، وهو يقول :

— الطريق إلى الجحيم ، تمامًا كما توقَّع (مانشر) ..

سأقل إليه البشرى فور وصولنا إلى إدارة الأمن .

واتسمت ابتسامته الساخرة ، وهو يردف :

— لقد سقط ذلك الشيطان كالفر الساذج .

تطلَّع السفير المصرى إلى شروق الشمس ، عبر نافذة حجرة (أدهم) ، ثم انفت إلى ذلك الأخير ، وعقد حاجبيه في ضيق ، وهو يتأمل كومة الأسلحة المرصوفة فوق فراشة ، وغمغم :

— هل تظن نفسك ترسانة أسلحة حيَّة أيما المقلَّم ؟ ..

مدفع رشاش من ذلك النوع الذى يسهل فككه وتركيبه ، وثلاثة مسدسات مزوَّدة بكواتم للصوت ، وسبع قنابل يدوية ، وخمسة دخان ، وقبله دخان ، ما كل هذا ؟

أجاب (أدهم) في هدوء :

— لا تسألنى أواجه جيشًا يا سيادة السفير .

صاح السفير في حقن :

— وهل تظن أنك مستعد الوقت الكافى لاستخدام كل

٥١

هذه الأسلحة ؟.. إنك لن تقطو ثلاث خطوات في طريق
الجميع هذا ، حتى تنال عليك رصاصات ذئاب الجبال
كالطير .

ابتسم (أدهم) في هدوء ، وهو يقول :

— ومن قال إنني سأعبر الطريق إلى الجميع يا سيدي ؟

تطلع إليه السفير في دهشة ، وغمغم :

— ولكنك أغبرت المفتش أنك ..

قاطعه (أدهم) في حزم :

— إنه رجل مخادع يا سيادة السفير .

حدق السفير في وجهه مجرّد من الدهشة ، وهو يتف في

استكثار :

— مخادع ؟

اجابة (أدهم) في صرامة :

— نعم يا سيادة السفير ، لقد أثار شكوكي حينما تجاوز

الأعراف الدولية ، وحلّ في إلى داخل السفارة ، وأيقنت من

خداعه عندما أخبرني عن مكمن ذئاب الجبال يعمل هذه السرعة

والسهولة ، على الرغم من قصته العاطفية الزائفة عن مبرع والده .

غمغم السفير ، ولم تضارقه دهشة بعد :

٥٢

— إذن فهو .. !

قاطعه (أدهم) في هدوء :

— أحد رجال (سانشو) يا سيادة السفير .

ألقى السفير جسيده وهو مذبول على مقعد قريب ، وهو

يصمم :

— يا إلهي ..! وماذا سنفعل الآن ؟

هزّ (أدهم) كتفيه ، وقال :

— إنني أحتاج أولاً إلى بعض المشتريات يا سيدي ، وإلى

تأكيد خط سري .

ثم السفير في خيرة :

— مشتريات ؟

أوما (أدهم) برأسه إيجاباً ، وقال :

— نعم يا سيدي .. أحتاج إلى بخديقة صيد ، من ذلك

النوع الذي يستعمل تحت الماء ، والمزودة برمح قوي ، وإلى

لفة من الكابلات السلكية القوية ، وخطافين ميتين ، وحلة

من حبل الصابغة ، ذات اللونين الأخضر والبنّي .

هف السفير في دهشة :

— يا إلهي ..! ولم كل هذا ؟

٥٣



جلّيه (أدهم) من سترته في قوّة ، وجرحه خلفه ..

تراقصت ابتسامة ساحرة على شفهي (أدهم) ، وهو

يقول :

— أعتقد أنه الجين إلى أيامي السابقة في فترات الصاعقة

يا سيدي ، وعودة إلى ما قبل عملي في التقارير العانة .

ثم أردف في حزم هائل ، وصراة عجيبة :

— وسيعلم ذلك الوغد (سانشو) ، كيف يقاتل

المصريون .

اهلكت حاصل ذلك الملهى الفاعسر الشهير ، في قلب

العاصمة (إيما) ، في تنظيف البار ، ورتوب الموائد . حينما

شعر بيد فولاذية توضع على كتفه ، وسمع صوتاً ساحراً

يقول :

— هل يمكنكى حجز مائدة ، لا يخطف رؤادها ؟

استدار الرجل في ذعر ، وحدق في وجه (أدهم) وعينه

الصارمين في عصب ، وهو يتف :

— ماذا .. ماذا تعني يا سنيور ؟

جلّيه (أدهم) من سترته في قوّة ، وجرحه خلفه ، وهو

يقول :

٥٤

— لا شيء أيها الوغد .. وإنما أريد الصلح إليك
ووجدنا .

حاول الرجل أن يقارم ، وتلفت حوله في دعر ، ولكنه لم
يجرأ على النطق بكلمة واحدة ، حتى عندما دفعه (أدهم) في
خلف داخل سيارته ، وأدار عزمها ، وابتعد بها في هدوء ،
فغمغم الرجل ، في خوف :

— ماذا تريد مني يا سنور ؟ إنني مجرد عامل مسكين ..
ابطل الرجل باقي عبارته ، وارتعدت فرائصه في رعب
هائل ، حينما أخرج (أدهم) مسدسه ، وألقى بهتقه ،
وجذب إزمته في هدوء ، وهو يقول في صرامة :

— اصمت .
كاد الرجل يطلع لسانه نفسه من شدة رعبه ، ولكنه أطبق
شفاهه في قوة ، وترك عينيه تتسعان في دعر ، ولكنه تدلى في
بلاهة ، و (أدهم) ينطلق بسيارته إلى خارج العاصمة ،
ويسرع بها في طريق جانبي غير ممهد ، قبل أن يتوقف في
منطقة مهجورة تمامًا ، ويدخل إلى الرجل ، قائلاً :

— اهبط .
قفز الرجل خارج السيارة ، ووقف يرتعد ، رافقاً
ذراعيه ، وهو يقول في لهجة باكية ضارعة :

٥٦

وجهه ، حينما عاد (أدهم) يصوب إليه قوته مسدسه ،
ويقول في صرامة :

— هل تفضل رصاصتي أنا إذن ؟

بدا الرجل أقرب إلى الانهيار ، وهو يقول :

— أرجوك يا سنور !!

جذب (أدهم) إزمته مسدسه ، وقال في برود :

— وداعاً إذن أيها الوغد !!

وتطلع الرجل في رعب هائل إلى ملاح (أدهم) الجامدة ،
وإلى عينيه الصارمتين ، ثم سقط رأسه على صدره في انهار ،
وهو يتمم :

— سأخبرك يا سنور .. سأخبرك بكل شيء .

٥٨

— إنني لا أعلم شيئاً يا سنور .. لا أعلم شيئاً .
ابتسم (أدهم) في سخرية ، وهو يستعد إلى سيارته ،
ويمتد ساعديه أمام صدره ، ويقول :

— عجباً !!.. كنت أظنك تعلم الكثير ، فأنت لم تحاول

البحث عن (أدهم صبرى) ، حينما جاءته المكالمات الهاتفية ، بل

توجهت إلى مائدتها مباشرة ، وتحدثت إلى بلا تردد .

شحب وجه الرجل ، وأيقن أن خطأ قد أوقع به ، فغمغم

في ضراعة واستسلام :

— ماذا تريد مني يا سنور ؟

ابتسم (أدهم) في هدوء ، وهو يقول :

— هكذا يكون الحديث الملهذب .

ثم اكتسب صوته صلابة الفولاذ وقوته ، وهو يردف :

— أين أجد (سانشو) ؟

ازداد ضحوب وجه الرجل ، حتى بات أشبه بوجوه

الموتى ، وغمغم :

— لا يمكنني أن أخبرك يا سنور .. سيقطن (سانشو)

لواشي ..

بتر الرجل عبارته مرة أخرى ، وغمر العرق الجارد

٥٧

٨ — وارتجفت جبال (الإنديز) ..

توقفت سيارة أليقة عند سفح الجبل ، في منطقة ينذر مرور
السيارات فيها ، وغمغم داخلها السفير المصري ، الذي يجلس
خلف عجلة القيادة :

— حسناً أيها المقدم ، الآن تبدأ مهمتك الانتحارية .

ابتسم (أدهم) في هدوء ، وثبت (جوهدي) كبيرة فوق

ظهره ، وتأكد من صلاحية مدفعه الرشاش ، ثم قال :

— شكراً يا سيادة السفير .. كان طريقاً منك أن تقتلني

بنفسك إلى هنا .

ثم السفير في حنوت :

— كان ينبغي لي أن أشارك في شيء ما .

ابتسم (أدهم) ، وقفز خارج السيارة في نشاط ، ووقف

يمدّل من هندامه ، في حين لم يحاول السفير إخفاء قلقه ، وهو

يطلع إلى مظهره العجيب ..

كان (أدهم) يرتدى حلة من حبل رجال الصاعقة ،

٥٩

المبرقة باللونين الأخضر والبني ، حتى يصعب تمييز صاحبها
وسط الجبال ، و (جريندي) خلف ظهره ، قتل بالدخيرة ،
ويظل منها جزء من الكابلات السلوكية المتينة ، في حين تلقى
حزام المدفع الرشاش في كتفه اليمنى ، تدلّت بدقية الصيد ذات
الرمح من كتفه اليسرى ، وبدت مقابض المسدسات الفولاذية
واضحة في حزامه ، في حين لمع الخنجران في حقى حذائه
الجلدئ السميك .

وغمغم السفير ، وهو يصافح (أدهم) :

— أتتني لك التوفيق أيها المقدم .

صافحه (أدهم) في قوة ، وهو يقول :

— فليقبلنا الله (سبحانه وتعالى) — برعايته يا سيدي .

ثم اجسم في هدوء وثقة ، وأسرع يسلك الجبل في عطف
ومهارة ، فتهدّ السفير ، وقال :

— يا له من رجل !!

وخيل إليه في هذه اللحظة أن جبال (الإنديز) ترتجف ..

أشعل (جولدمان) سيجارته في عصبية ، وهو يقول

لـ (سانشو) ، الذي بدا هادئاً ، مسترخياً فوق مقعد وثير ،

داخِل مقر قيادته ، يدخن سيجاره الفاخر :

٦٥

— لقد أبلغتني دولتي موافقتها على محاولتك التخلص من
(أدهم صبرى) يا (سانشو) ، ولكنهم يطالبونك بمزيد من
الحذر ، وبدعم إغفال أية تفاصيل ، حتى لا يلفت منك هذا
الشیطان .

اجسم (سانشو) في سخرية ، وقال :

— يبدو أنكم تفتحون هذا الرجل أكثر من حجمه

يا (جولدمان) ، إنه ليس أكثر من كتلة عضلات وغرور .

عقد (جولدمان) حاجبيه ، وقال :

— حذار أن تصوّره كذلك يا (سانشو) ، وإلا حالت

بك الهزيمة على يديه ، كما أصاب العندين من قبلك ، صحيح

أن (أدهم صبرى) كتلة من العضلات المصولة ، ولكنها

ليست مجرد كتلة صماء ، فهو من القلائل الذين أمكنهم تمييز

ذلك الحد الفاصل ، واخطرت الرفيع بين الثقة والغرور ، ثم إنه

حاذ الذكاء كاللعيب ، شجاع كاللث ، شرس كالقهد .

أطلق (سانشو) ضحكة ساخرة ، وقال :

— إذن فهو حديقة حيوان كاملة .

غمغم (جولدمان) في حدة :

— بل هو غلبة يصعب اجتيازها ، ومثلو هزيمتها

يا (سانشو) .

٦٦

— لن ينصر ذلك الشيطان المعمرى أبداً .

لم يكن اختراق دروب (الإنديز) بالأمر الهين ، وإنما كان

فهيضاً من الصعوبة والمشاق ، ولكن (أدهم) لم يتوقف لحظة

عن تحدى الجبال ، واجتياز مشاقها ، متدا صافح السفير

المعمرى عند سفحها ، بل بدا بالغ النشاط والحيوية ، وهو

يسلك الصخور ، ويقفز فوقها ، ويمر الأعداء في مهارة

وصبر ، حتى وصل إلى هوة الموت ، مع مشارف الغروب ،

فوقف ليخفف هوله الغرير ، ويتطلع إلى أهوة السحيفة ،

وهو يغمغم في لهجة أقرب إلى السخرية :

— ياله من طريق !! لقد أحسنتم اختيار مكمنكم يا أوغاد

الجبال

كان جسده يطمح إلى لحظات من الراحة ، خاصة أن

جفنيه لم يدوروا النوم طيلة الليلة الماضية ، ولكن عقله كان يعلم أن

الوقت بالنسبة إليه أكثر من الذهب ، فشرع يتزع بنذلة

الصيد المادية عن كسفه في نشاط ، وأخرج الكابلات

السلوكية ، وأوصل أحد طرفيها بالرمح القوي في البندقية ،

وصوّبها إلى صخرة كبيرة على الجانب الآخر من الهوة ، وهو

يلمغم في هدوء ، محاذئاً نفسه :

٦٣

تجهّم وجه (سانشو) ، وقال :

— إنك تبهت عند وكنائك مفروم به يا سيور

(جولدمان) .

توَّح (جولدمان) بكفه ، وهو يقول في حق :

— بل إنني لا أكره مخلوقاً عظيماً أكرهه يا (سانشو) ،

ولكنني أحاول تحديرك ، فأنت تشدد كل الاحتمالات لنعمه من

عبور الطريق إلى الجميع ، ولكنه لن يخلدك رباني من وداى

الهلاك .

اجسم (سانشو) في همة وسخرية ، وهو يقول :

— أنا واثق من أنه لن يفعل

هتف (جولدمان) في حدة :

— وإذا فعل !!

عقد (سانشو) حاجبيه في غضب وتفكير عميقين ، ثم

بعض من مقدمه في حدة ، وخرج من مقر قيادته ، إلى حيث

تقبع هليوكوبتر صغيرة ، وقال للفاندا في عصبية :

— إذهب لتفقد هوة الموت ووادي الهلاك ، وأطلق النار

على كل من تجده هناك .

ثم انطفت إلى (جولدمان) ، وقال في حدة :

٦٢

وقدّم (أدهم) من الجانب الآخر للهوة ، وقبضناه
متشبّين بالسلك القوى ، ككلاّيين من الفولاذ ، وتحرّكنا
إلى الأمام في سرعة ، ولكنهما تمجّدتا فجأة ، وانعقد حاجبا
(أدهم) في اهتمام وقلق ، وأصغى بسمعه في جلبة ، مركزًا
حواسه على ذلك الأزيز الذي يرتفع ويقترب في سرعة ،
ويتحوّل إلى طنين مألوف ، لكل من ينتمي إلى الجهات
العسكرية ..

وفجأة برزت هليوكوبر الذئاب الصغيرة ؛ من خلف
مرتفع صخري ، وانجبت نحو (أدهم) في سرعة ، وقد
استعدّ قائدها لإطلاق مدفعها الرشاش ، وهو يقول في مزج
من الدهشة والحق والسخرية المريبة :

— يا للشيطان !! لقد كان (سالمو) عمقا في قلقه ..
ثم أطلق رصاصات المدفع الرشاش نحو (أدهم) ، الملقى
فوق هوة الموت ..

٦٥

(م م) — رجل السجل — جبال الموت — ٥٢

— والآن حذار أن تخطئ يا (أدهم) .

وأطلق الرمح ، الذي ثبت في نصله الخطافين القويّين ..
وأطلق الرمح القوي يشق الفراغ بين جانبي الهوة ،
ويجذب خلفه لهة السلك الكبيرة ، وتركة (أدهم) يتجاوزها ببضعة
أمتار ، ثم أمسك طرف السلك فجأة ، مما أوقف الرمح بلفة ،
وجعله ينحرف ليلتف حول الصخرة ، ويدور حولها عدة
دورات ، قبل أن يشتبك بالسلك ، ويلتصق به في قوّة ،
بواسطة الخطافين ..

وجذب (أدهم) السلك القوى عدة مرات ، حتى تأكد
من ثباته ، والتصاقه القوي بالصخرة ، وتحملته بقله ، ثم أخذ
يربط الطرف الآخر له في صخرة أخرى على جانبه ، حتى
أحكم رباطه ، ووقف على حافة الهوة ، وهو يغمغم :

— مرحبًا يا هوة الموت .

وقفز متعلّقًا بالسلك القوى ، وأخذ ينقل قبضته عليه في
سرعة وقوّة ومهارة ، وجسده يتطوّح أعلى الهوة السحيقة ،
حاملًا (الجربندية) الثقيلة ، وأسلحه كلها ، ومدفعه
الرشاش .

٦٤

٩ — هوة الموت ..

موقف رهيب ذلك الذي كان يعرّض له (أدهم صيرى)
في تلك اللحظة ..

كان متعلّقًا في سلك تمتد بين طرفي هوة سحيقة ، وجسده
يتدلّى فيها ، والهوة تنفتح فكها انظارًا لسقوطه بين أليائها ،
واهليوكوبر تهاجمه في شراسة ، وتطلق رصاصات مدفعها
الرشاش نحوه ..

كان موقفًا يحتاج إلى رجل له مرونة المطاط ، وقوّة الفولاذ ،
وسرعة الأفسي ، وبرود الثلج ..
ولقد كان (أدهم) هذا الرجل ..

لقد انثنى جسده في مهارة ، وارتفعت قدماه في مرة ،
لتطوّقان السلك ، ثم جذب قبضته ، وابتعد عن مرضى النيران
برشاقة بارعة ، تشبه ألعاب السيّك ، حتى أن قائد اهليوكوبر
ففر فاه في ذهول ، وهو يحدّق في (أدهم) ، الذي عاد ينصبي
بجسده ، ويلتقط السلك بقبضته ، ثم يدلي قدميه ، ويتحرّك في

٦٧



وفجأة برزت هليوكوبر الذئاب الصغيرة ، من خلف مرتفع صخري ،
وانجبت نحو (أدهم) في سرعة

مرحة ، محاولاً الوصول إلى الجانب الآخر للهوة ، قبل أن تدركه الهليوكوبتر مرة ثانية ..

وعقد قائم الهليوكوبتر حاجبيه في غضب ، وصاح في حنق :

— حسناً أيها البهلوان ، سيطلب لي رؤية جسدك ، وهو يتحطم على الصخور الهوة .

ثم اندفع نحو منتصف السلك قائماً ، وأطلق رصاصاته عليه ، فتمزق السلك من منتصفه ، وهوى جسد (أدهم) المتشبث بالسلك ، نحو الجانب الآخر من الهوة ، ونحو صخورها الحادة .

لم يستطع قائد الهليوكوبتر كتمان ذهوله هذه المرة ، حيناً رأى (أدهم) ، الذي ظن أنه سيمزق فوق الصخور الحادة ، يضم ركبتيه إلى صدره في سرعة ، ويرتطم بجانب الهوة مستخدماً إحدى قدميه لحماية من صخورها الحادة ، ثم يدفع جسده مرة أخرى في سرعة ، ليعود ويلتقي بالصخور ، حامياً جسده بقدميه ، وبمذائه الضخم ، دون أن يتحرك السلك الذي تشبث به ، قبل أن يبدأ تارجيع السلك ..

٦٨

وحسب قائد الهليوكوبتر شفعه في غضب ، واندفع نحو (أدهم) ، الذي يتأرجح جسده إلى جوار جدار الهوة ، وهو يقول في سخط :

— يا لك من شيطان !! إنك لن تصجح هذه المرة .

ورأى (أدهم) الهليوكوبتر وهي تدفع نحوه ، فتشبث بالسلك القوي ، مستخدماً إحدى قبضتيه ، وهو يقول في سخرية :

— هيا .. اقرب أيها الوغد ، ففؤة الموت تشتاق إلى طعم الدماء .

وانطلقت رصاصات الهليوكوبتر ، ودفع (أدهم) حافة الصخور بقدميه ، وتشبث بالسلك الذي دفعه بعيداً عن مرمى النيران ، ثم التقط مسدسه من حزامه ، وظلّ متشبثاً بالسلك ، مستخدماً قبضة واحدة ، وأطلق النار نحو الهليوكوبتر ، في نفس اللحظة ، التي كان قائدها يمدق فيها بذهول في (أدهم) ، وهو يتخف :

— هذا مستحيل !! إنه يتعلق بذراع واحدة ، يحاول إطلاق النار بالأخرى .. إنه لن ينجح أبداً في ..

ولكن القدر لم يسمح له بإتمام عبارته المرتجلة أبداً ، فقد

٦٩

— ماذا حدث ؟

خدج (سانشو) بظرة غاضبة قبل أن يقول في حنق :

— يبدو أنك كتبت على حق يا سيور (جولدمان) . أراد (جولدمان) أن يسأله عما حدث ، ولكنه شعر بحفاف شديد في حلقه ، وبهضة تنم عن الضوء بكلمة واحدة ، إلا أن تساؤله بدا واضحاً في عينيه ، فلوح (سانشو) بذراعه في عصبية ، وهو يقول :

— لقد انطلقت الهليوكوبتر لمسح وادي الهلاك وفؤة الموت ، ولقد سمعها رجالاً تطلق رصاصات مدافعها الرشاش ، ثم سمعوا صوت انفجارها في قلب الفؤة .

غمغم (جولدمان) في شحوب :

— هل تعني أن (أدهم صبرى) ؟ ..

قاطعه (سانشو) في جدة :

— نعم .. لقد اختار الطريق الأصعب للوصول إلى هنا . ثم لوح بذراعيه في انفعال ، وهو يصيح :

— أي رجل هذا يا (جولدمان) ؟ .. إنه شيطان !!

شيطان مريد !!

غمغم (جولدمان) في توأر :

— لقد حذرتك .

٧١

انصرفت رصاصة (أدهم) زجاج الهليوكوبتر ، واستقرت في رأسه ، فجمدته حيناً في ألم وذهول ، وتراعى جسده جثة هامدة ، واندفعت الهليوكوبتر بلا قائد ، لترتطم بجدار الهوة ، ثم تنسحق في أعماقها ، وتفجر في قوة ، أثناء (أدهم) فلم يضع وقته في تتبع ما أصاب الهليوكوبتر ، وإنما عاد يتعلق بالسلك ، ويصعد جانب الهوة في مهارة ، وهو يغمغم :

— يا للغبى !! لو أنه أصاب السلك من حيث تركت الرمح ، ما أمكنني النجاح في عبور هوة الموت أبداً .

واصل صعوده في قوة ، على الرغم من الآلام الشديدة التي يشعر بها في عضلاته كلها ، حتى وصل إلى سافة الهوة من الجانب الآخر ، فاستلقى في صعوبة ، وألقى جسده المكثود إلى جوار الصخرة الضخمة ، التي يلف حولها السلك ، بواسطة الرمح المزود بأخطافين ، وأخذ يلهث وهو يقول في سخرية :

— ها لقد تخطينا العقبة الأولى يا أوغاد الجبال ، وإن لم نؤخر هوة الموت ضحاياها .

التحجم (سانشو) بحجرة (جولدمان) في جدة ، حتى أن هذا الأخير قفز من فراشه ، وهو يسأله في توتر :

٧٢

— هيا يا (أدهم) .. سيكون عليك أن تجاز نصف كيلومتر من الأرض العارية ، تحت ضوء القمر .
كان يقلقه أن يلحق ذئاب الجبال تسلله ، قبل أن يفاجئهم بالمجوم ، ولكن قلقة هذا الخطى خلف جدار من أصابع الفولاذية ، وهو يرتب على الصخرة الضخمة ، التي انطب حوها طرف السلك ، قائلاً :

— وداعاً يا صديقي .. لقد أنجزت مهمتك بنجاح ..
وقبالة حتى السكون حواء قوى ، وارتفعت زجاجة عالية وحشية ، جعلت (أدهم) يلمض خلفه في حدة ، فطامحه عشرات العيون المتألفة بالوحشية ، لتطبع من الذئاب الجائعة ، يسيل الزبد من أشداقها ، وفي سرعة وهراسة ، لفز القطيع نحوه ..



٧٣

حول أكبرها حجماً ، وكأنها تسأله المشورة ، وأدأ هو وجهه يحدق في وجه (أدهم) بعينين تطل منهما الوحشية ..
كان من الواضح أنه زعيم الذئاب ، وصاحب السطوة بينها ، ونظراً لمركزه ، كان عليه اتخاذ خطوة حاسمة ، يضمن بها استمرار سيطرته ونفوذه وسط القطيع ؛ لذا فقد تراجع بضع خطوات إلى الخلف ، وأطلق زجاجة قوية ، ثم وثب ولة هائلة ، دفعته إلى حيث يقف (أدهم) أعلى الصخرة ، وأنيابه تلتصق تحت ضوء القمر ، وتوجه إلى عنق (أدهم) قفلاً .

كان (أدهم) يسك مسدسه في قبضته ، وكان من السهل عليه أن يطلق النار على الذئب الضخم ، ولكن شيئاً ما في أعماقه ، جعله يتجاهل مسدسه ، ويميل بجسده يمينا ، لينأى بعنقه عن أنياب الذئب ، ثم اندفعت يده اليسرى نحو هذا الأخير ، وقبضت على عنق الذئب في قوة فولاذية ..

كانت مبادرة (أدهم) مفاجئة للذئب ، الذي وجد نفسه معلقاً من عنقه ، وكأية من الفولاذ تطبق عليه ، فأطلق عواء قوياً ، واندفعت مخالبه تغمض صدر (أدهم) وذراعه ، وتحرق قميصه ، ولكن (أدهم) ترك مسدسه ، ولكم الذئب

صاح (سانشو) في غضب :
— إنه لم يتضرر بعد
ثم استعاد صوته حالته ، وهو يستطرد في دراسة :
— علينا أن نتأكد أولاً أنه لم يلق مصرعه مع الهلوكوبر في قوّة الموت ، ثم سيكون عليه أن يجاز وادي الهلاك وفقابه ، وحتى إن فعل ، مسجد رجالنا في انتظاره .
وصمت لحظة ، قبل أن يردف :
— وحتى لو عبر كل هذا ، فسأجيزه في النهاية على الاستسلام .

سأله (جولدمان) في صوت مختق :
— كيف ؟
خدجه (سانشو) بنظرة باردة ، قبل أن يقول لي وحشية :
— ما زالت لدينا الفاعة ، وهو لن يضحى بها أبداً .

زحف الظلام بسرعة على وادي الهلاك ، وأخذ (أدهم) بعد أسلحته ، ويتأكد من صلاحيتها ، قبل أن يعبر الوادي ، واستغرق ذلك بعض الوقت ، حتى برز القمر ، وألقى ضوءه على الوادي ، فغمغم (أدهم) في ضيق :

٧٦

١٠ — وادي الهلاك ..

جاءت قفزة الذئاب سهمة مباغتة ، ولكن استجابة (أدهم) المدهلة ، جعلته يضادى قفزة أقرب الذئاب إليه ، ثم يتعلق بالسلك الملف حول الصخرة الضخمة ، ويقفز عائداً ، لتستقر قدماه أعلى الصخرة ، ويتنزع مسدسه في حدة ، ويصوبه إلى الذئاب ، التي تقافزت محاولة الوصول إليه ، وهي تزجر في وحشية وهراسة ..

رأدت (أدهم) لحظة فكرة إطلاق رصاصات مسدساته الثلاثة على الذئاب ، ولكن عدده المهرول جعله يعراجع عن فكرته ، وهو يغمغم في ضيق :

— مستفند هذه الذئاب ذخيرتي كلها ، قبل أن أتمد أنفاسها جميعاً .

كان عواء الذئاب وزجرتها يصنعان إيقاعاً غميقاً في وادي الهلاك ، وكان مشهداً جديراً أن يجذب انتباه أكثر العلماء اهتماماً بعلم الحيوان ودراسة سلوكه ، فقد التفت الذئاب كلها

في معدته بأقصى ما يستطيع من قوة ، وكأنه يقاتل خصمًا بشريًا ، وأطلق الذئب عواءً متألماً ، وفزع الفزع إلى عينيه ، في حين تراجعت الذئاب الأخرى ، وغيروا متطرفة بذلك الصراع العجيب ، بين الرجل والذئب ..

وحاول الذئب تقزيق خصمه بمخالبه مرة أخرى ، ولكن (أدهم) ظل يرفعه من عنقه ، وعاد يلكمه مرة أخرى في معدته ، وهو يقول :

— اسلم أيها الذئب ، لقد قاتلت من هم أكثر وحشية منك .

وعلى بعد نصف كيلومتر ، ووسط غابة كثيفة ، عند حافة وادي الهلاك ، غمغم أحد رجال (سانشو) ، الذين يراقبون المشهد بمنظيرهم القوية :

— يا للشيطان !! ماذا يفعل هذا الرجل ؟

غمغم زميله في ذهول :

— أصبحت بسؤالك هذا ، فلقد تصوّرت أنني وأهم ، إنها أول مرة أرى فيها رجلاً يقاتل ذئبًا بهذا الأسلوب .

عاد الأول ينتم في خيرة ..

— كأنى به يحاول السيطرة على الذئب وترويضه .

عقد الثاني حاجيه ، وهو يحكمهم بكلمات ساخطة ، ثم غمغم : — هذا مستحيل يا صديقي .

ولكن زميله كان على حق ..

إن القاعدة في عالم الحيوان تقول إن الزعامة للأقوى ، وهذا ما كان (أدهم) يعرفه ، وما كان يحاول تطبيقه ..

لقد واصل الذئب محاولته للقضاء على خصمه ، و (أدهم) يرفعه من عنقه في قوة وصلابة ، متفادياً مخالبه وأنيابه ، حتى شعر الذئب بالاختناق ، فحول عوازه إلى أنين صارع منسلط ، وهنا انبسم (أدهم) في ثقة ، وهو يقول :

— هذا أفضل يا ملك الذئاب .

ثم ترك عنق الذئب ، وجعله يسقط وسط باقي الذئاب ، التي أخذت تنقل أنصارها بينهما في خيرة ، وهذا قام (أدهم) بأعجب عمل في حياته ، فقد رفع هامته ، وأرسل بصره إلى القمر ، وأطلق عواءً يشبه عواء الذئاب ، تردّد صدها في وادي الهلاك كله . قبل أن يقفز وسط قطع الذئاب ، ويقف منصب الجسد . رافع الرأس ..

وهيف أحد رجال (سانشو) في ذهول :

— يا للشيطان !! لقد نجح .

وقف (أدهم) هادئاً ، يتنقل بصره في صرامة بين الذئاب ، التي تراجعت في خوف ، وتركته يلتقط (جريديته) ، ويبتها خلف ظهره . ثم يمضي في هدوء ، مبتعداً عن الصخرة ، وسط قطع الذئاب ..

كان مشهداً عجيباً ، يلقي الرعب والرجفة في أشد القلوب بأساً ، ويصلح لليل من أفلام الرعب ، ولكن (أدهم) كان واقفاً من النتيجة ، فلقد انتصر في قتال بالأيدي العارية ، على رعي الذئاب ، وانتقلت إليه زعامتها ..

لقد أصبحت الذئاب كلها تبعه الآن زعيماً ، أو أنها ما زالت تردّد في اتخاذ هذا القرار ..

وكان عليه أن يصل إلى حافة وادي الهلاك . قبل أن تحسم الذئاب قرارها ..

ومضى (أدهم) في طريقه ، دون أن يلتفت خلفه ، أو تسرع خطواته ، وبدا هذا المشهد مذهلاً لمراقبيه ، فالتقط أحدهم جهاز اللاسلكي الصغير من حزامه ، وقال في توتر واضح :

— هنا (بنو) .. لقد نجح ذلك الشيطان في السيطرة



و (أدهم) يرفعه من عنقه في قوة وصلابة ، متفادياً مخالبه وأنيابه ، حتى شعر الذئب بالاختناق ، فحول عوازه إلى أنين ..

— أطلق النار عليه أيها العبي .. لا تدعه يهرب وادى الهلاك
إلا جثة هامدة .

وانطلقت رصاصات عشرة مدافع رشاشة نحو (أدهم)
صبري) ، ونسأله صوته إلى مسامح (منى)
و (سانشو) ، الذي برقت عيناه في شراسة ، وهتف في
انفعال :

— ها هو ذا شيطانك يسقط كالصفاة ، مع رصاصات
رجالي أيتها المصرية .. لقد انتصر (سانشو) هذه المرة أيضا .

* * *



(٩ م) — رجل المسجل — جمال الموت — ٥٧)

على قطع الذئاب ، قد لا يمكنكم تصديقي ، ولكنها الحقيقة ،
وها هو ذا يمضي بيننا في هدوء ، متجهاً إلينا .

أنه صوت (سانشو) الغاضب ، وهو يهتف :

— هل جئت يا رجل ؟ الذئاب لا تستسلم أبدا
للشعر !

زفر الرجل في ضيق ، وقال :

— أعلم أن هذا عسير التصديق ، ولكنه حدث .. ماذا
نعمل الآن ؟

عقد (سانشو) حاجبيه في مزيج من الذهول والدهشة ،
والثقت إلى (منى) المقتدة على مقعد قريب ، وقال :

— يبدو أن زميلك هذا يفوق الشياطين حقاً .

ابهست (منى) في لفظة ، وهي تقول :

— ألم أقل لك ؟

وقبل أن يصرخ (سانشو) في وجهها غاضباً ، ارتفع
صوت (بلورو) عبر جهاز اللاسلكي يهتف :

— ماذا نفعل يا (سانشو) ؟

عاد (سانشو) يعقد حاجبيه في خفق ، وهو يصرخ
ناراً :

٨٠

١١ — الرجل والذئاب ..

كان (أدهم) يسير في هدوء ، بعد أن تجاوز قطع الذئاب
الحاكر ، حينما انهمرت رصاصات ذئاب الجبال حوله كالطر ..
وامتلأت أعماق (أدهم) بالثورة والقوة ..

كان يعلم أنه لا يقاوم ذئاب عالم الحيوان هذه المرة ، وإنما
يقاوم ذئاب البشر ، ولم يكن يدرى — حيث — أينما أكرر
خطورة . ولكنه كان يميل إلى قتال ذئاب البشر ..

وتكهرب الموقف كله في لحظة واحدة ، فاعطط عواء
الذئاب بطلقات النيران ، وانتزع (أدهم) مدفعه الرشاش ،
وترك ذئاب الحيوانات ، واندفع في بسالة نحو ذئاب البشر ..

نهر من النيران انصب على جسد (أدهم) من داخل الغابة
الكثيفة ، وانطلق هو وسطه في شجاعة مذهلة ، واستنحار
مخيف ، حتى أن رجال (سانشو) العشرة تراجعوا في خوف
وذهل ، وأصاب رصاصات (أدهم) ثلاثة منهم ، وأردتهم

قتل ، في حين عجزت أيديهم المرتجفة عن إصابته ، ولم تحاول

٨٢

الذئاب الحيوانية الاشتراك في تلك المعركة ، التي بدت لها أكثر
شراسة من معاركها فيما بينها ..

وفجأة وجد ذئاب الجبال (أدهم) وسطهم ، وارتجفت
فرائصهم رغبا ، حينما وجدوا بينهم الرجل الذي رؤى
الذئاب ، وحاول بعضهم إطلاق النار ، ولكن قبضة
(أدهم) هتمت أنف أحدهم ، وحطمت فك الثاني ،
وكسرت عنق الثالث ، ثم تلقى الرابع وكلة في معدته ، وكان
نصيب الخامس أخرى في كليته ، وسقط السادس مع لكمة
ساحقة في مؤخرة عنقه ، وبقي السابع ..

بقي يرتجف ويرتعد ، ويتراجع أمام (أدهم) ، الذي ففز
نحوه ، والتزعه من قبضه ، وهو يقول في صرامة :

— أين الفتاة ؟

هتف الرجل في دعر :

— في حجرة (سانشو) .

أطبق (أدهم) على مؤخرة عنقه ، وقال في حزم :

— حسنا .. مترشدين إلى حجرة ذلك الوغد .

ودفعه أمامه في عنف ، غير الأغصان المتشابكة ..

* * *

٨٣

— ولكن لنصوّر أنه نجح ، ماذا سيفعل حينئذ ؟
لم يجه أحدهما ، ولكنه ظل يفكر لحظة أخرى ، قبل أن
ترسم ابتسامة وحشية على شفتيه ، وابتلعت إلى (منى) :
قاتلاً :

— ذمك رجل شهيم مقدام يا فتاتي ، لذا فهو لن ينتصر .

ظل (أدهم) قابضاً على عنق الرجل ، وهو يطلع في
السمام إلى وكر (سانشو) ، ثم همس في صراة :

— أين حجرة (سانشو) ، التي يحفظ فيها بالقاتة ؟
أشار الرجل بأصابع مرتجفة إلى كوخ خشبي وسط
المكان ، وهمس في ذعر :

— هناك يا سيور .. ولكن ..

واكتسب همهمة الضراعة والتوسل ، وهو يستطرد :
— سيقتلى (سانشو) بلا رحمة ، إذا ما علم أنني قد كنت
إلى هنا .

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول :
— اطمئن .. إنه لن يطم ، فأنا منظر لإزاحتك عن
الطريق ، حتى يتمكن العمل في هدوء

بدا (سانشو) شديد التوتر والعصبية ، وهو يدور حول
المائدة ، التي اسطر فوقها جهاز اللاسلكي ، و (منى) تابعه
ببصرها في سخرية ، حتى دخل (جولدمان) إلى حجراته ،
وسأله في توتر :

— هل قتلته رجالك ؟

تطلع إليه (سانشو) في حني ، ثم لوح يذراعه ، وقال :
— لست أدري .. لقد توقفت إطلاق النيران ، ولكن
(يدرو) لم يرسل أية رسائل .

غمغمت (منى) في سخرية :

— أظن أن إرساله الرسائل من العالم الآخر أمر عسير .
خذجها (سانشو) بنظرة غاصبة ، في حين شحج وجه
(جولدمان) ، وهو يغمغم :

— إذن فقد هزمهم (أدهم صري) .

صرخ (سانشو) في ثورة ، وهو يضرب المضدة بقبضه
في قوة :

— قلت لك إن هذا الشيطان المصري لن ينتصر أبداً .
ثم اعتدل ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وانقضى حاجباه
وكأنه يفكر في عمق ، وهو يغمغم :



ولجأة امتدت يد فولاذية من بين أغصان الشجرة
وانترعت اللاب من مكانه ..

وهوى يقبضه على فك الرجل ، فأسقطه فاقد الوعي ، ثم
جذب صمام الأمان في مدفعه الرشاش ، وهو يغمغم في حزم :
— والآن يبدأ قتالنا الحقيقي يا ذئاب الجبال .

وانفلت في خفة الثر عبر كتل الصخور والأغصان
المتشابكة ..

وهناك .. إلى جوار كوخ (سانشو) ، جلس أحد
الذئاب يذخن سيجارته ، وينتد دخانها في برود ، وهو
يمسك مدفعه الرشاش في ترقب وتحفز ، ويدور ببصره في أنحاء
المكان في هدوء ، ثم لم يلبث أن مط شفتيه ، وغمغم بحذفا
نفسه :

— يا له من عمل عمل اكيف يتصوّر (سانشو) أن يتجس
ذلك المصري في الوصول إلى وكرنا ؟ .. الطيور انفسها تعجز
عن ذلك .

ولجأة عقد حاجبيه في توتر ، حينما تناهى إلى مسامعه
خفيف أغصان الشجرة ، التي يستد إلى جذعها ، لهبً والفتا
في تحفز ، وشهر فؤة مدفعه الرشاش أمامه ، وتقدم في حذر ،
ليلتف حول جذع الشجرة ..

ولجأة امتدت يد فولاذية من بين أغصان الشجرة ،

١٢ - القتال ..

تختلف تدريبات رجال المخابرات في كل الدول ، هي تدريبات كل من ينتمي إلى جهات رسمية ، مهمتها حماية الجريمة والجرمين ، لرجال المخابرات يقاتل من أجل دولة ، لا من أجل أفراد ، وأى خطأ في أسلوبه قد يؤدي إلى خطر يتهدد دولته كلها ..

وكل رجل محارب في العالم يتلقى درساً عاماً في بداية عمله ..

أهمية الوقت

إنه يعلم أن جزءاً من الثانية ، قد يحول هزيمته إلى نصر ، ونصره إلى هزيمة ..

و (أدهم صبرى) يبنى هذا الدرس جيداً ..

فلم يكذب صوت (سانشو) يرتفع غير مكتر بالصوت ، حتى أدرك (أدهم) الموقف كله ، ودون أن يصيح نادية واحدة ، بدأ يعمل ..

٨٩

القبيلتين ، فقفز إلى الجانب الأيمن من الكوخ ، واحتسب بمأبدة جهاز اللاسلكى ، في نفس اللحظة التي انفجرت فيها القبيلتان ، وتناثر حائط الكوخ الأيسر قطعاً صغيرة .. وهنا اندفع (أدهم) خارج الكوخ من الناحية اليسرى ، وانطلقت رصاصات مدفع الرشاش في قوة وإصرار ..

كان عدد ذئاب الجبال يربو على المائة ، وكانوا هم كلهم يتظنون انقضاة (أدهم) ، ولكنه نجح في مفاجئهم على الرغم من ذلك ، حيناً انطلق كالشيطان ، ينثر رصاصاته في كل مكان ، ويتفادى رصاصاتهم بفقرات بارعة مذهبة ، وكأنه يقفز فوقها ، أو يتفادى خلالها ، وصرخ (سانشو) في غضب وثورة :

— ألفا دولار لمن ..

ضاع الجزء الثاني من عبارته مع انفجار القبيلتين الآخرين ، وألقى (أدهم) قبلة الدخان وسط الذئاب الذين يهاجمونه من يساره ، وأفرغ رصاصات مدفع الرشاش في أجساد مهاجميه من اليمين ، ثم انزع قبلة يدوية ألقيها وسط بعض الذئاب ، فانفجرت مفرقة مزيداً من القوضى والذعر ، وعاد (سانشو) يصرخ :

٩١

وانزعز الذئب من مكانه ، ورفعته قدمين عن الأرض ، وقبل أن يصرخ بكلمة واحدة ، تحطمت ذنبه بكلمة كالقبيلة فسقط مدفعه الرشاش ، وسقط هو إلى جواره فاقد الوعي .. وقفز (أدهم) من بين أغصان الشجرة ، وتسلل كالقهد إلى كوخ (سانشو) ، ودفع بابه بقدمه ، وقفز إلى الداخل وهو يهجر مدفعه الرشاش ، ولكنه لم يلبث أن خفض فوهة مدفعه الرشاش ، وعقد حاجبه ، وهو يتأمل الحجرة الخالية ، ويشم في خيرة :

— أين هذا الوغد ؟

أتاه الجواب غير مكتسب صوت ، بعمل صوب (سانشو) ، الذى يقول في مزيج من القفر والشماتة :

— انتهت السبة أيها الشيطان المصرى ، كنت أعلم أنك ستحاول إلحاق زميلك في البداية ، ولقد أوقعتك في فخ محكم ، فرجائى يمحطون بالكوخ ، وسأمنحك دقيقتين فقط ، وبعدها ستسلف الكوخ كله .

٨٨

التقط أربع قبائل يدوية من حزامه ، وأسرع يثبت كلامها في ركن من أركان الكوخ الخشبي ، ثم وضع في مدفعه الرشاش خزانة ذخيرة جديدة ، وأطمأن إلى حشو مسدساته الثلاثة ، ثم التقط قبلة الدخان ، وأمسكها في راحته اليسرى بقوة ..

فلم كل هذا قبل أن ينتهى (سانشو) من كلماته ، وراجع بسرعة معلوماته عن هذا النوع من القبائل اليدوية ..

إن القبلة الواحدة تستغرق ثلاثين ثانية ، منذ انزعاق قبيلها ، وحتى تنفجر ، ولقد أمهله (سانشو) دقيقتين ، أى ما يساوى أربعة أضعاف هذه المدة ..

ودار يصيره في أنحاء الكوخ بسرعة ..

إنهم سيتولفون محاولته للهرب عبر الباب الأمامى ، أو النافذة الخلفية للكوخ ، لذا فعليه أن يفاقتهم .

وتطلع إلى ساعته في اهتمام ، ثم تزع قبيل القبلة المثبتة على الجانب الخلفى من الحائط الأيسر للكوخ ، وأسرع يتزع قبيل تلك الموضوع على الجانب الأمامى من الحائط نفسه ، ثم انتظر خمس عشرة ثانية ، وانزع قبيل القبيلتين الآخرين ، وأخذ يراقب عقرب التوائى في اهتمام ، حتى اقرب مرعد انفجار

٩٠

كان قد اخفى قائما ..

تلقت (سانشو) حوله في ذهول ، ثم هتف في غضب :
— لقد تسَلَّل ذلك الشيطان المصرى إلى الغابة المجاورة .
مستترا بالدخان .

واكتسب صوته لورة عازمة ، وهو يصرخ :
— أريد هذا الشيطان .. أريده بأى ثمن .

وفي تلك اللحظة كان (أدهم) يثبت أحد مسدساته في
غصن شجرة قوى ، ثم يربط رناده بخيط متين ، من ذلك النوع
الذى يستخدم في صيد الأسماك ، ومزَّر الخيط عبر مجموعة
أغصان متشابكة ، ثم انطلق في خفة وهدوء إلى شجرة
أخرى ، وثبت مسدسا ثانيا في غصنها ، وكرَّر فعله مع شجرة
ثالثة على بعد أمتار من الشجرة الثانية ، وكانت فوهات
المسدسات الثلاثة تتجه نحو وكبر اللب ، وهنا أسرع
(أدهم) في خفة إلى الجانب الآخر ، وهو يمد الخيط خلفه ،
ولم يكدهم يكمنه الجديد ، حتى سمع (سانشو) يهتف في
غضب :

— لا تتحركوا شيئا في الغابة دون تفهيشه .. أريد جثة هذا
الشيطان بأى ثمن

٩٣

— ثلاثة آلاف دولار لمن يأتي به حيا .

جاء تأثير عبارته على عكس ما تصوّر ، فقد تردّد رجاله في
إطلاق النار على (أدهم) وكل منهم عتّى نفسه بالقبض عليه
حيا ، واستغل (أدهم) هذا التردد جيّدا ، فالتجّم الدخان
الكثيف ، الذى صنعته قبيلته ، واختلط برجال (سانشو) ،
بحيث بات من العسير التمييز بينهم وسط سحب الدخان .
وتنبّه (سانشو) إلى خطأ مطلبه ، وأحسّه هذا أيما
إحراق ، فعاد يهتف في غضب :

— بل خمسة آلاف دولار لمن يقتله منكم .

ومرة أخرى أتى هتافه بتبجيعة عكسية ، فلقد تفلّت شهوة
المال على عقول رجاله ، وأطلقوا رصاصهم على سحب
الدخان ، وعلى كل من يتفرون داخلها ، وكل منهم عتّى نفسه
بقتل (أدهم) ..

وانقضت سحب الدخان ، وبدت عشرات الجثث
لرجال (سانشو) ، الذين قتلهم زملاؤهم ، طمعا في قتل
(أدهم) .

وبين كل هذا القدر من القتل ، لم يكن هناك (أدهم
صرى) ..

٩٢

بدا (سانشو) حاثوا مترددا لحظة ، ثم لم يلبث حاجباه أن
انقلبا في صرامة ، وقال في جدة :
— أحضروا الفتاة .. إنها وقتنا الأخيرة .

توقف (أدهم) عن إطلاق النار لحظة ، وعاد يهتف
بلهجة أهلى (يما) :

— استسلم يا (سانشو) ، لا فائدة من المقاومة .
ولجأ ارتفع صوت (سانشو) بقول في صرامة :
— أنا الذى أطلبكم بالاسلام ، وأنا دلعت الفتاة حياتها
هنا لمحوكم .

عقد (أدهم) حاجبيه في غضب ، وأخرج وجهه من
خلف الغصن الضخم ، الذى يخفى خلفه ، وتحوّل الغضب في
أعماله إلى فورة ، فقد رأى (منى) ..

وأها ملققة من معصمها في فرع قوى ، وجسمها يتأرجح في
هدوء ، والألم والإجهاد يبدوان واضحين في قسماتها ، وفوهات
المدافع الرشاشة كلها تنصب إليها ، وعاد (سانشو) يهتف :
— سيقتل رجالى كلهم مدافعهم الرشاشة على الفتاة ، بعد
دقيقة واحدة .

٩٥

وهنا صاح (أدهم) مبدلا صوته ، ومغبرا لهجته ، بحيث
بدت أقرب إلى لغة ولهجة سكان (يما) :

— استسلم يا (سانشو) .. وكرك محاصر رجال
الشرطة .

شحب وجه (سانشو) لحظة ، وهو يطلّفت حوله في
ذعر ، في حين تجمّدت أطراف رجاله ، وهم يدورون بفوهات
مدافعهم الرشاشة في كل الاتجاهات ، حتى صاح (سانشو)
في حق :

— إنها عددة .. أنا أعلم أنك بارع في تقليد الأصوات أيا
الشيطان المصرى .

احسم (أدهم) في سخرية ، ثم جذب الخيط في فورة ،
وبدا يطلق رصاصات مدفعه الرشاش ..

وجذب الخيط أزيدة المسدسات ، فانطلقت رصاصاتها
بدووها ، وبدا وكأن المكان محاصر حقا برجال الشرطة ، فما
ألقى الذعر في قلوب رجال (سانشو) ، وهتف به أحدهم ،
وهو يطلق النار في كل الاتجاهات بلا هدف :

— ماذا نفعل يا (سانشو) ؟

٩٤



وأما سلفقة من معصميا في فرع قري وحسمها بأرجح في هدوء ، والألم
والإجهااد يدوان واضحين في قسامها ..

٩٧

وغمغم (أدهم) في غضب :
— يا لك من وغد !!
في حين صاحت (منى) في ضعف :
— لا تمسلم يا (أدهم) ، سيحزقونك إربا لو فطنت
وعاد (سانشو) بصرخ :
— لقد مضت عشر ثوان ، وأنا لا أثيز بالصبر ..
وتدخلت الصبحات ، واختلطت في عقل (أدهم) وقلبه ..
لا يمكنه أن يتغل عن (منى) ..
لا يمكنه أن يسمح بقتلها ..
وكان يعلم أن (سانشو) لن يتردد في قتلها ، ما لم يظهر به هو ..
كان صراخا قويا في أعماق (أدهم) ، الذي لم يلدق الهزيمة يوما ..
وعاد (سانشو) يصيح :
— مضت نصف الدقيقة .. لن أنتظر طويلا
وهنا حسم (أدهم) أمره ، وصاح في ضيق :
— سأبسم أيا الرغد
ثم قفز وسط الذئاب ، وألقى مدفعه الرشاش عند قدمي
(سانشو) .

٩٧

١٣ - أول هزيمة ..

فتحت زوجة السفير المصري عينها ، وطلعت في دهشة إلى
زوجها ، الذي وقف بدخس سيجارته إلى جوار النافذة ، ويطلع
في شرود إلى جبال (الإنديز) ، التي تدور من بعيد ، على ضوء
القمر ، ثم غادرت فراشها في هدوء ، واقتربت منه ، ووقفت
إلى جواره ، نشاركه التطلع الشارد لحظات ، قبل أن تغمغم في
خفت :
— إنها الثانية صباحا .

غمغم ، وهو ينفث دخان سيجارته :
— أعلم ذلك

رثب على كتفه في حنان ، وهي تقول :
— أما زلت تفكر في رجل المخابرات ؟
أجابها في صوت حافت :
— نعم .

وساد الصمت بينهما لحظة ، قبل أن يخبر إلى الجبال
البعيدة ، مغمغما :

٩٨

— إسي أنساءل عما يفعله هناك .. في جبال الموت .
نظت بصرها إلى الجبال بدورها ، وغمغمت :
— لقد ذهب بإرادته .
غمغم السفير .
— إنه يملك إرادة فولاذية
عاد الصمت يخيم عليهما لحظة ، قبل أن تلتفت إليه
ووجه ، وتقول
— هل أرسلت تخير المسؤولين في القاهرة ؟
أومأ برأسه إيجابا ، وقال :
— لقد أرسلوا يطمئنوني . إن (أدهم صبرى) هذا لم
يُهْزَم أبدا .
سأله في همس :
— ما الذي تخشاه إذن ؟
عاد يتطلع إلى جبال (الإنديز) في شرود ، قبل أن
يغمغم :
— أخشى أن نذيقه جبال الموت أول هزيمة في حياته ..
وآخرها .

٩٩

عقد (سانشو) كفيه خلف ظهره ، وهو يطلع إلى وجه
(أدهم) في اهتمام ، قبل أن يقول في ضحكة :
— إذن فأنت (أدهم صبرى) الذى يمتدلون عنه
كأبطال الأساطير ؟

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول :
— نعم .. هو أنا .

صاح (جولدمان) في حدة :
— اقله يا (سانشو) .. اقله قبل أن يفلت منك .
التفت إليه (سانشو) في صرامة ، وقال في برود :
— صد يا سيور (جولدمان) .. لا تفس أبنى الزعيم
هنا .

ألقى (أدهم) نظرة عابرة على (جولدمان) ، ثم قال في
سخرية :
— إذن فأنت تتعامل مع (الموساد) أيها الرغد .

عقد (سانشو) حاجبيه ، وقال :
— نعم أيها المبتجح .. من المريب أنك تستخدم هذا
الأسلوب في الحديث ، وأنت تلبس مكشوف الذراعين أمامى ،
ووسط رجالى .

ثم مال نحو (أدهم) وأردف في برود :
— ألا تخشى أن أقتلك ؟

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وقال في هدوء :
— اذهب إلى الجميع ، إذا قبل استضافتك وسط نيرانه .
توَلَّع الجميع أن يتفجر (سانشو) غاضباً ، إلا أنه أطلق
ضحكة ساخرة عالية ، وقال في جدل :

— يا لك من رجل ! إنك تعجبنى يا سيور (أدهم) !
عاد (جولدمان) يصيح في توَمَل :
— اقله يا (سانشو) ، قبل أن تضيع الفرصة .
لَوَّح (سانشو) بذراعه ، دون أن يكلف إلى
(جولدمان) ، وغغمم :
— صد أيها الرجل .

ثم مال نحو (أدهم) مرة ثانية ، وقال :
— إنك حقاً تعجبنى يا سيور (أدهم) ، فلقد اجتزت
أهوالاً ، قبل أن تصل إلى هنا ، ومن النادر أن ينجح رجل
واحد في تحدى واجياز كل هذه الصعوبات ، بل هو من
المستحيل .
غغمم (أدهم) في سخرية :

١٤ — المحاكمة ..

جاء العرض مفاجئاً للجميع ، حتى أن عيسى (منى)
اتسعا في دهشة ، وصاح (جولدمان) في ذعر :
— حذار أن تقع في هذا الخطأ يا (سانشو) .. إن
(أدهم صبرى) لا يكون دولته أبداً ، ولو دفعت له مال الدنيا
كله .

عقد (سانشو) حاجبيه ، وقال في صرامة :
— ليس هذا من شأنك يا رجل .
هتف (جولدمان) في حدة :
— بل هو من شأنى يا (سانشو) ، فنحن لا نتفق عليك
وعلى رجالك بسخاء لتعارض أوامرى .
صاح (سانشو) في غضب :
— أوامرك ؟

تراجع (جولدمان) في ذعر ، أمام ثورة (سانشو)
المفاجئة ، في حين استطرد هذا الأخير في حدة :

— إننى أهوى المستحيل .

ابتسم (سانشو) ، وقال :
— وهذا ما يثير إعجابى يا سيور (أدهم) .
وتهدأ في عبق ، قبل أن يردف :
— لقد نجحت في خداعنا جميعاً ، حيناً أوهمتنا بوجود قوة
تحتاصرنا ، على الرغم من بساطة خدعتك ، فقد كان الأمر
يحتاج إلى شجاعة نادرة .

وانسعت ابتسامته ، وهو يقول :
— وذكاء .

غغمم (أدهم) في تهكم :
— هل تنفُز في براعتى أيها الرغد ؟
هزَّ (سانشو) رأسه في هدوء ، وقال :
— بل أمهد لعرض سخى أيها الشيطان .
وعاد يميل نحو (أدهم) مستطرداً في اهتمام :
— ما رأيك في الانضمام إلى ذئاب الجبال ؟

— ينبغي أن تعلم أنكم مجرد مولين لنظامنا يا سيور
(جولدمان) ، ولكنني أنا الزعيم الوحيد لذئاب الجبال ، وأنا
الوحيد صاحب الحق في إصدار الأوامر .
غشم (جولدمان) في شخوب :
— فليكن يا (سانشو) ، ولكنك مستدم إن أجلاً أو
عاجلاً ، فالوسيلة الوحيدة لضمان سكوت (أدهم) هي
قتله .

عاد (سانشو) يصيح في غضب :
— هذا شأني وحدي .

ثم انفتحت إلى (أدهم) ، وسأله في جدّة :
— ما رأيك يا سيور (أدهم) ؟

عقد (أدهم) حاجبه ، وبدت دلائل التفكير العميق على
وجهه ، وهو يقول :

— إنه عرض يستحق التفكير يا (سانشو) .

غشم (سانشو) في صرامة :

— أريد قراراً سريعاً .

ابتسم (أدهم) في هدوء ، وقال :

— أوافق يا زعيم الذئاب .

١٠٤

صاح (جولدمان) في جنون :
— حذار يا (سانشو) .. إنه يمدحك .
صاح (سانشو) في صرامة وجدة :
— اصمت يا (جولدمان) .
ثم التقط من حزامه مسدساً ، ناوله إلى (أدهم) ، وهو
يخف بأحد رجاله :

— حل وثاق زميلنا الجديد .

أسرع الرجل محل وثاق (أدهم) ، الذي تناول المسدس
في هدوء ، وهو يستمع إلى (سانشو) ، الذي يقول :
— هذا المسدس دليل نقى بقرارك يا سيور (أدهم) .
وفجأة قفز (أدهم) نحو (سانشو) ، وأحاط عنقه
بذراعه اليسرى ، ثم انصق قوة المسدس برأسه ، وهو يقول
في سخرية :

— من منا أكثر سذاجة يا وغد الجبال ؟ .. مر رجالك
بخفض أسلحتهم ، وإطلاق سراح زميلتي ، وإلا لنجرت
وأسلك برصاصات هذا المسدس .

ابتسم (سانشو) في سخرية ، وأشار إلى رجاله أن
يهدؤوا ، وقال في هدوء :

١٠٥

— أنت الأكثر سذاجة أيا الشيطان ، فهذا المسدس الذي
تحمّله فارغ ، وأنتذا قد برهنت على نواياك .

عصف الغضب بـ (أدهم) ، وصرى في عروقه قوياً
عنيفاً ، حيناً تبين له ذلك الفخ ، الذي قاده إليه (سانشو) في
براعة الذئب ، واتباعه رغبة قوية في اعصار عنق هذا الأخير
بذراعه ، وسلب روحه عقاباً له على ذلك ، ولكن وجهه
(مني) المتنازع جعله يتراجع ، ويترك عنق (سانشو) ، ثم
يلقى مسدسه الفارغ بعيداً ، وهو يقول في برود :
— كان ينبغي أن توقع هذا منذ البداية يا زعيم اللهباء .
تحسّس (سانشو) عنقه في حق ، وظل صوته مخفّظاً
بهذوله ، وهو يقول :

— لا تذكر أنني كنت أوقعه نوعاً ما يا سيور
(أدهم) ، ولكنني تهمدته .

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وقال :

— يا للبراعة !!

نوح (سانشو) بذراعه ، وقال :

— إنها براعة بالفعل يا سيور (أدهم) ، فلقد جعلتك

١٠٦

تعلن موافقتك على الانضمام لذئاب الجبال ، قبل أن ترتكب
خيانتك هذه .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة قصيرة ، وغشم :

— وهل سعلن ذلك في كل صحف (بيرو) ؟

ظلّ (سانشو) صامتاً لحظة ، يتأمل في (أدهم) في
برود ، قبل أن يقول في هدوء :

— لقد أصبحت واحداً من ذئاب الجبال ، ولو لثانية
واحدة يا سيور (أدهم) ، وهذا يعني أن تخضع لشرعية
ذئاب الجبال .

عاد (أدهم) يبتسم في سخرية ، وهو يقول :

— هل ستقاتل أنا وأنت على الزعامة ؟

نوح (سانشو) بذراعه في حركة مسرحية ، وهو يقول :

— لن يتزع أحد الزعامة مني أبداً يا سيور (أدهم) ..
إن ما أقصده هو أنك ستحاكم بتهمة الخيانة .

بدت العبارة ساخرة في أذن (أدهم) ، فقال متيئساً :

— هل يحلو لك تقبل دور النياحة والقاضي ؟

عقد (سانشو) حاجبيه في صرامة ، وقال :

— إنه قانون ذئاب الغابة .

١٠٧



— هل ترى هذه البئر يا سنور (أدهم) ؟ .. إنها واحدة من الظواهر الطبيعية العجيبة ..

أطلق (أدهم) ضحكة تفيض بالسخرية ، تردد صداها في المكان كله ، قبل أن يواجه (سانشو) بعينين يملؤهما التحدي ، وهو يقول :

— كف عن مسرحياتك المغزلية هذه أيها الفأر الحقيق ، فالتلاعب بالفرسية قبل اتهامها ليس من صفات الذئاب ، وإنما هوسية من سمات السادية ، وحس تأكيد الذات ، وهذا يحدث دائماً مع من يعانون الشعور بالنقص .

احتقن وجه (سانشو) غضباً ، وقال في جدة :

— أنت تستحق الشق على أعلى شجرة هنا أيها المصري . هتف (جولدمان) في لفظة :

— نعم يا (سانشو) .. فلتقبل .

التفت إليه (سانشو) في برود ، ثم عاد يواجه (أدهم) ، قائلاً :

— ولكن هذه ليست الوسيلة التي اخترتها لقتلك .

ثم سار في خطوات بطيئة إلى البئر العميقة ، التي تتوسط الوعر ، وأشار إليها ، وقال في هدوء :

— هل ترى هذه البئر يا سنور (أدهم) ؟ .. إنها واحدة

من الظواهر الطبيعية العجيبة ، التي يخلو للطبيعة بها أحياناً إثبات تفرقها على بني البشر .

غمغم (أدهم) ساغراً :

— لماذا ؟ .. هل تجمل بالشروببات الغازية ؟

مط (سانشو) شفاه ، وقال :

— إنها لا تصلح للشرب بأي حال من الأحوال يا سنور (أدهم) .

وصمت لحظة ، قبل أن يستطرد :

— حينما شرع الأفديمون في حفر هذه البئر ، منذ قرون

خلت ، كانوا يتوقعون العثور على مياه عذبة ، ولكنهم فوجئوا

بتوصلهم إلى نفق طبيعي ، يمتد من المحيط الهادئ إلى بحر

(لوكيالي) ، حافراً بجراه تحت جبال (الإنديز) ، وهذا النفق

يصل بأصمك القرش الفترسة ، التي تزدد وحشيتها مع راحة

الدماغ .

انظر (سانشو) لحظة ، ليرى تأثير كلماته على

(أدهم) ، ولكن هذا الأخير ظل مرسماً في سخرية ، فهدد

(سانشو) حاجبيه غضباً ، واستطرد في خفق :

— ولقد قادنا وجود هذا المكان العجيب إلى ابتكار وسيلة

العقاب ، لمن تم محاكمتهم بتهمة الخيانة بيننا .

واكتسب صوته وحشية عجيبة ، وهو يردد :

— إننا نذبح حيواناً صغيراً ، ونلقى به في البئر ، فسيل

دماؤه في مائه ، وتسيقظ أصمك القرش ، وتسن أسنانيا

الحادة . وقد وصلت رغبتي في الاغتراس إلى ذروتها ، ثم شجع الخائن خنجراً ، لتضمن له فرصة عادلة ، ونلقى به في أعماق البئر .

غمغم (أدهم) في سخرية .

— يا لها من عدالة !!

ظهر الغضب على وجه (سانشو) ، وصاح :

— إنها عدالة الذئاب أيها الشيطان ، وهي تناسبنا .

شحب وجه (منى) ، وهي تهتف في ذعر :

— أيها الموحشون !!

اتسم (سانشو) في ظفر ، وكأعما أسعده دعر (منى) ،

وقال :

— والآن أيها الشيطان المصري ، هل تعرف بغيانك ؟

تضاعف الغضب في أعماق (سانشو) ، حينما أجابه

(أدهم) في هدوء وسخرية :

— كلا بالطبع أيها الحشرة .

صاح (سانشو) في غضب هادر :

— لقد حكمت على نفسك بالإعدام أيها المصري .

أطلق (أدهم) ضحكة هائلة ، وهو يقول :

— يا إلهي !! لقد فاجأتني أيها الحقير .

وبإشارة غاضبة حازمة من يد (سانشو) ، أسرع أحد رجاله بصحن لقصصاً صغيراً ، انزعج منه أولاً ، وذهج في سرعة ،

وترك دماءه تقطر لحظة في أعماق البئر ، قبل أن يلقى به
داخلها ، ودفع الرجال (أدهم) إلى حافتها ، وديس أحدهم
خنجراً في حزامه ، ثم ارتفعت فوهات المدافع الرشاشة نحوه ،
وقال (سانشو) في شراسة ، وعيناه تالقان ببرق وحشي
دموى :

— نحيّك إلى أسماك القرش أيها الشيطان .

صرخت (منى) في ذعر :

— كلاً .. كلاً يا (أدهم) .

التفت إليها (أدهم) في هدوء ، وقال :

— لا تجزعى يا عزيزتى .. سأعود .

أطلق (سانشو) ضحكة وحشية رهبة ، وصاح :

— حاول أيها الشيطان المصرى .. حاول .

ثم دفع (أدهم) في قوّة ، وألقى به في أعماق البئر

المظلمة ، وصرخت (منى) في جزع وذعر ولوعة :

— (أدهم) ..

واختلطت صرختها بضحكات ذئاب الجبال الوحشية ، ثم

ساد السكون في أعماق جبال الموت ..

انتهى الجزء الأول - ويليه الجزء الثاني

في الرواية القادمة رقم ٥٣ [ذئاب ودماء]

رقم الإيداع : ٣٦١٩